

«إضطراب الفكر الدينى فى أوروبا»

مظاهره .. وبواعثه .. وآثاره

بقلم

دكتور

مريضى شقيبان على السنويدى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة - بالمنوفية

لجنة التحكيم

أ.د/ محمود عبد السميح شعلا

أ.د/ حسن عبد الحميد حسن



بسم الله الرحمن الرحيم

» اضطراب الفكر الديني في أوروبا

مظاهره - وبواعثه - وآثاره

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ،
سيدنا محمد ﷺ الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن
سلك منهجهم إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن هذا البحث الذي أقدمه وأسطره لقراء حولية « كلية أصول الدين
والدعوة بالتوفيق » يستهدف بالدرجة الأولى بيان البواعث الحقيقية وراء
التهزات الأوروبية ، والتيارات الفكرية المتباينة في العصر الحديث ، حيث انبثقت
العديد من المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة نتيجة لسيطرة الفكر الوضعي
ومنه الفكر الأوربي على الشريعة المسلمة ، وعلى السواد الأعظم من عالم
المسلمين في كافة الأقطار الإسلامية نتيجة انحرافهم وتبعدهم عن نور الإلهي
الهادي إلى صراط الله المستقيم ، ولعل هذا كان من أهم البواعث لتقدم هذا
الموضوع ، عسى أن نبتدي للحق ، ونميز الطيب من الخبيث ، ونفوق من سيئاتنا ،
ونعود إلى رشدنا ، نبرأنا الإسلامي ، لشكون كلمة الله تعالى هي العليا ،
وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون
والمشركون ومن على شاكلتهم ومثوالهم .

فأقول وبالله التوفيق :

اضطرب الفكر الوضعي - بمختلف مسمياته ، ومزاعمه وأدعائه ، وتباين
فيما بينه وبين غيره من شتى الأفكار الوضعية ومنه الفكر الأوربي « في علم
مقارنة الأديان » ، وفي نظريته لواقع الكون ، وكنهه الحياة ، وذاتية الإنسان -

اضطراباً يظهر عجز المفاهيم البشرية عن أن تحيط بما تقطن من قوانين ونظم وما شاكل ذلك بما يسمى « منهج حياة الإنسانية ».

وتباينت المدارك البشرية فيما بينها تبايناً يجعل عدم التوفيق في تحديد المصطلحات وإظهار الذاتيات ، ووضوح الأهداف والغايات ، مما أوجد تصارعاً واضطراباً بين شتى الأفكار الوضعية من بيئة لأخرى ، بل وفي البيئة الواحدة ، ومن عصر لآخر ، ولعل الدافع لهذا التباين والاختلاف ناجم من معيار الفكر الإنساني نفسه ، وضعف المصدر المعرفي لهذه الأفكار المتضاربة والمتصارعة ، ولرقلبت سجلات التاريخ ، وتآملت صفحات الواقع :

* متجدد صراعاً فكرياً في مجال العقائد والدين والفلسفة.

* ومتلئس تضارباً وأخطاساً في ذاتية التاريخ وعلم الأجناس وكنه الحضارة الإنسانية.

* وسترى تشعباً وأزمة جليلة في اللغة والأدب والفن وغيرها في العلوم العربية.

* وستقرأ أخطأً وتبايناً في مفاهيم الاجتماع والأخلاق والنفس والتربية وسائر العلوم الإنسانية.

* وستلاحظ تيارات فكرية متشعبة ، ومذاهب فكرية متفرقة.

ومنهج البحث العلمي في هذه الأفكار الوضعية - رغم تنوع وتعدد سمياتها - مضطرب في المحاور الستة التالية :

- المحور الأول : ذاتية أو ماهية الفكر - أيًا كان مسماه.

- المحور الثاني : ميلاد أو نشأة الفكر وبيان منشئه.

- المحور الثالث : معيار الفكر أو ميزانه أو المصدر الذي يستقى منه هذا الفكر.

- المحور الرابع : خصائص الفكر أو سماته التي تميزه عن غيره من صائر الأفكار.

- المحور الخامس ، هدف الفكر أو غايته .

- المحور السادس ، حيل أو أساليب الفكر للوصول لبيئته أو غايته .^(١)

واختلاف الأفكار الوضعية فيما بينها في إجلاء هذه المحاور الستة رغم ما بينها من صراع يحاول كل فكر منها احتواء الآخر والسيطرة عليه بل محاولة القضاء عليه وسحق أتباعه . يدل دلالة قاطعة على سقوط هذه الأفكار وانهارها في حلبة الصراع الفكري .

ولكى تنجلي الحقيقة العلمية للمقارئ الكريم ، أعنى بالفكر الوضعي : كل ماهر من نتاج العقل البشري ومقنناته ، أياً كان مسمى هذا الفكر ، فكل فكر من الأفكار الوضعية يرجع في غالب الأمر إلى واضع ومقننه ، ومسمى ما شئت - قد يكون مسمى الفكر وأسمالياً ، أو شيعياً ، أو ماركسياً ، أو وجودياً ، أو بودياً ، أو كونفوشيوسياً ... وغيرها من مسميات ومبتذعات فكرية وضعية ، وكذا ما يتعلق بزيف التعاليم اليهودية والنصرانية الوضعيتين على اعتبار أن يد البشر قد تدخلت وتلاعبت في نصوصهما الكتابية بالتحريف والتبديل ، والتفسير والتعديل ، والتقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان ، والحذف والتلفيق ، الأمر الذي جعلهما يدخلان في نطاق وعداء الفكر الوضعي لأنهما انحرفا واحداً عن وحي الله تعالى .

وعندما تظهر الفسادة في عيون المفكرين ، ويذهبون بعيداً عن مصدر النور الحق ، والوحي الإلهي ، سرعان ما تختلط الأمور ، وتضطرب عليهم الحقائق المتعارف عليها ، وإذا ما أشرق الإنسان بنفسه في ساحة الفكر الوضعي وبعد عن النور ومصدره ، فإنه لا ريب سيفقد التمييز بين الحق والباطل ، والطيب والخبيث ،

١- لمعرفة هذه المحاور الستة انظر (ذاتية الفكر الإسلامي وغايته) بحث مخطوط ، د . مرسى السويدي ، لم يأذن الله تعالى بنشره .

وتتشابه في عينيه الألوان لأنه يعيش في ظل فكر باطل ، وليل دامس ، وظلام حالك ، « وظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » ١١ ، وصدق من قال : « إن الألوان تتشابه في الظلام » ، واختلاف الفكر الوضعي في الرأي ، وليد بُعد عن المصدر الإلهي وانحرافه عن المعيار الأساسي لموازين الفكر ، كما بُعد صاحب الألوان المتعددة عن النور فرآها كلها في الظلام لوناً واحداً .

ولا ريب في أن ظهور الضباب الكثيف ، والمختلط مع غيره ، يؤدي إلى اضطراب السبل ، وتعدد الخيل ، ويُوجد هيلة وصراعاً ، ثم انحرافاً عن سواء السبيل في الإدراك والفهم والسلوك ، ورغم ما بين الأفكار الوضعية جميعها من صراع فكري حاد أحياناً ، وصراع دموي في أكثر الأحيان ، إلا أنها اتفقت وأجمعت ، واتحدت وتآلفت على توجيه الضربات القاسية للإسلام رغبة في القضاء عليه أو تحريفه وتشويهه أو إثارة الشبهات حوله .

ولما كان الفكر الأوربي جزءاً لا يتجزأ من الفكر الوضعي ، فبأننى آثرت أن أقدم هذا الموضوع - اضطراب الفكر الديني في أوروبا ، مظاهره ، وبواعثه وآثاره - لن أخدموا بهريق الحضارة الغربية ، وإنساقوا السياقاً أعنى لما عليه عليهم النهضة الأوروبية ، لكن يظهر لهم - من خلال البحث - أن العمد والأسس التي قام عليها الفكر الديني في الساحة الأوروبية وأهى وباطل ، ولا يقوم على ساق ، وما بنى على باطل فهو باطل ، فضلاً عن أن هذا الفكر سراب خادع ومخادع ، وعمل البيشة التي ولد فيها ، وإطلاق نتائج هذه الشجرة على كل الأمم والأديان وخاصة البيشة الإسلامية ، والدين الإسلامي فيه تجاوز كبير للحقيقة العلمية . (٢)

١- سورة النور من الآية (٤٠) .

٢- انظر (من مصطلحات الثقافة الإسلامية ودورها في نهضة أوروبا وحضارتها) ، ٢ ، مرسى شعبان السويدي ، حوالة أصول الدين والدعوة بالقولية ، العدد الخامس عشر ، ص ٣٣٥-٣٧ ، ١٩٩٥ م .

وبيان هذا الموضوع يتجلى من خلال تفصيل العناصر التالية بعد إجمالها :

أولاً: طبيعة المجتمع الأوروبي.

ثانياً: ملامسات أو مظاهر اضطراب الفكر الدينى فى الساحة الأوروبية.

ثالثاً: أهم البواعث التى أدت إلى اضطراب الفكر الدينى فى البيئة الغربية.

رابعاً: بيان الآثار التى تترتب على هذا التخطيط الفكرى فى العالم الأوروبى.

ولى مع كل عنصر من هذه العناصر وقفه لتوضيحه - حسب ما يسمح به
المقال - فأقول وبالله التوفيق .

ولا، طبيعة المجتمع الأوروبي:

لا بحث للمجتمع الأوروبي - ومن نهج متوالهم من أبناء الشرق العربي - أن يفتنى بحضارته ، أو يزهر بنهضته ، وهي وليدة أفكار وثنية وضعية ، ولمعرفة ذلك وجب علينا أن نعرف طبيعة الحضارة الغربية ، والنهضة الإسلامية ، وروحها وروحها ، وفلسفة حياة هذه الأمم ، وكيف نشأت ؟ ، ولبيان هذه الطبيعة الأوروبية.

يقول أبو الحسن الندوي : « ليست الحضارة الغربية في القرن العشرين المسيحية وليدة هذه القرون المتأخرة التي تلت القرون المظلمة في أوروبا ، أو حديثة كما يتوهم كثير من الناس ، بل يرجع تاريخها إلى آلاف من السنين ، فهي سليلة الحضارة اليونانية ، والحضارة الرومانية ، فقد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والمذني والديني والاجتماعي والعلمي ، وانطبعت فيهما ميولهما وئذعاتهما وخصائصهما ، بل انحدرت إليها في الدم ، فقد كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع - حفظه لنا التاريخ - للعقلية الأوروبية ، وأول حضارة - سجلها التاريخ - قامت على أساس الفلسفة الأوروبية تجلت فيها النفس الأوروبية ، وعلى أنقاضها قام صرح الحضارة الرومانية تحمل روحاً واحدة هي الروح الأوروبية ، وهلت الشعوب الأوروبية طيلة قرون محتفظة بخصائصها وطبيعتها ، وارتت لفلسفتها وعلومها وآدابها وأفكارها ، حتى برزت بها في القرن التاسع عشر في ثوب براق بوهلك - بطلاته وزهر ألوانه - أنه جديد التسج ، ولكن لحمته وسداه من نسج اليونان والرومان » (١).

ولما كنا بصدد البحث والدراسة في انتقاد الحضارة الغربية ، والنهضة الأوروبية ، وما شكلها من روح وطبع وفكر ، وما واكبها من اضطراب فكري عام ، وخاصة فيما يتعلق بالفكر الديني بصفة خاصة - موضوع البحث - فلنكون

١- (ماذا خسر العالم بانسقاط المسلمين) ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

متصفين في الحكم على هذه العقلية الأوروبية . فإنه يمتنى لنا أن نلقى بعض الضوء على ما اعتري الحضارتين اليونانية والرومانية من فكر ، لكن نتأكد من مدى تأثير العقلية الأوروبية ، بطابعهما وروحهما .

- أما الحضارة اليونانية (الإغريقية) فقد غلب عليها الطابع المادي في كافة مناحي حياتها الفكرية والعلمية ، ويتجلى هذا الطابع واضحاً فيما اعتقدوه مهم (لا يهتمون إلا بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس ، وقلة الدين والمشروع ، وشدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمناافعها ولذائدها ، والتزمة الوطنية) (١) ، وهذا الاعتقاد يتم في مجمله كل ما يتصل بالأيديولوجية اليونانية وما سادها من علم وثقافة وفلسفة ودين .

وقد سلم العلماء الأوروبيون بقلية المادية في الحضارة الأوروبية ، ونوهوا بها في كتبهم وبحوثهم العلمية ، ألقى العالم الألماني الدكتور « هاس » ثلاث محاضرات في جنيف عنوانها « ماهي المدنية الأوروبية ؟ » ، وملخص ما قاله : « المدنية اليونانية هي مركز المدنية الغربية الحاضرة ، وكان المهم عند رجالها نشوء قوى الإنسان نشوئاً متناسباً ، وكان المثل الكامل عندهم الجسم الجميل المتناسب وليس هذا إلا اعتداداً بالمحسوسات اعتداداً كبيراً ... وكان الدين خليئاً من الروحانية المعنوية ، لم يكن فيه علم الدين ولا طبقة رجال الدين ، أما اللون الروحي الذي يبدو في تقاليد « إرمثس » وغيرها من التقاليد التي نسجوا حولها نسيج من أساطير وخرافات ، وصور للمعاني المجردة وتصورها في أجسام وأشكال إلا رشفة من رشفات هذه المادية الطاغية في الأمة اليونانية - وغيرها » (٢) .

١- المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٨٠ ، تصرف ، أوجع إليه مزيد من الاستلاد .

٢- نقلاً من المرجع السابق ص ١٧٧ .

كما عنى العديد من مفكرى الغرب وعلماء أوروبا برقة الدين وقلة الخشوع والجد فى أعمال اليونان وكثرة اللهو والرقص والطرب فى حياتهم ، وسجلوها فى كتبهم ، ومن هؤلاء « ليكى » فقد قال فى كتابه : (إن الحركة اليونانية كانت عقلية وذهنية محضة ، وكانوا يعظمون آلهتهم بالرقص والغناء ، ولا ريب أن التاريخ اليونانى يصدق ذلك ويؤيده ، فلما تعلم ديننا من الأديان يزاحم دين اليونان وتقاليدنا فى كثرة الأفراح والأعياد والألعاب وفى قلة الخشية والخشوع ، فلم يكن اليونان يعظمون إلههم إلا كما يعظمون شيوخهم وعظماءهم ، وكانوا يكتفون فى تعظيمه وتمجيدهِ برسوم عارية وتقاليد جارية) (١).

ومن ثم يظهر بجلاء أن طبيعة الحياة اليونانية وروحها فى الاعتقاد قد غلب عليها الطابع المادى الجارف ، فلم يكن اليونانيون خاشعين لله تعالى بل كانت عبادتهم وأعمالهم الدينية أجساداً بغير أرواح ، وأنهم كانوا يعظمون الله كما كانوا يعظمون شيوخهم وكبارهم ، واهتموا بالحياة الدنيا وبالفرا فى قيمتها وزخرفتها ، ولعبوا بالفنون الجميلة ، ولهج أدباؤهم ومفكروهم بالحرية الشخصية التى لا تعرف قيوداً ولا تقف عند حد تأثيرها سلباً فى أخلاق اليونان ومجتمعها ، فلأدى إلى انتشار الفوضى الأخلاقية ، وحدثت ثورة على كل نظام ، وأصبح شعار الرجل الجمهورى (وهو كناية عن الرجل الحر والمتنور) الجريء وراء الشهوات العاجلة ، وانتهاب المسرات والتهام الحياة التهام الجائع النهم.

- وأما عن مدى تأثير العقلية الأوروبية بروح الحضارة الرومانية (الرومية) وطابعها فإنه يتسنى لنا بيان الإحاطة بطابع هذه الحضارة وروحها ، وعنهما يحدثنا أبو الحسن الندوى قائلاً :

« لقد تأثرت الحضارة الرومانية والإغريقية ، وغلب طابع وروح اليونان على الرومان ولم يكن هذا الخشوع خاصاً فى عالم التأليف والأدب فحسب ، بل غلبت

١- (تاريخ أخلاق أوروبا ، ١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

المدنية لإصريقبة لدنية لرومية فى الأخلاق والسجاي والعشرة والاجتماع
والمواطف والترعات ، وفى كل ناحية من نواحي الحياة العامة وأصبح الروم
يقفون الإغريق ، وهكذا انتقلت الفلسفة اليهودية ، والثقافة بل النفسية
ليونانية - بظاهري وروحي وحضائنها - إلى الروم ، وجرت معهم الروح وأدم ،
ولم يكن الروم - بظبيعتهم الأوروبية - يحتلفون عن اليونان فى الخصائص
كثيراً ، بل هناك شبه عظيم بين الأمتين إيمان بالمحسوس ، وغلو فى تقدير الحياة
- للموت - وشك فى دين ، وضعف من يقين ، واضطرب فى العقيدة ،
واستعجاب بالنظام الدينى وطوقه ، واعتزرو بالرومية وتعصب لها ، وحب
مفرط لوطى زد على ذلك كنه عسداً بالقوة ، وحتراماً رائداً لها يبلغ حد
العبادة والتقدس « (١١) .

ومن بقرا لتاريخ لفكرى والسياسى لمحضارة لرومية وخاصة فيها يتتبع
بالحيوة العلمانية سبظهر به بجلالاً ، أن افكر لدنى لعالب على هذه الحضارة
لفكرأ ولياً حرافى يقتضى بظبيعتة خيرة ولاضطراب وضعف الإيمان ، وكلما
تقدمو وبهروا فى حببهم لعلمية ، وتسورت أفكارهم رد دوا تهكماً به
وست - فأمنه ، وقصرو أن لآلهة لا دحل لهم فى لمسية وأمر لدب (١٢)

وفى هذ ، تصدد يحدشا « سبيرو » قنلا « لما كان امثئون ينشدون فى
دور لتمثيل أيبنا معاها أن الآلهة لا دحل لهم فى أمور الدنيا بصى إليها
الفاص ويسمعوها بكل رغبة » (١٣)

١- (مائة ، عشر العالم بالخطاط المسمى) من ١٨١

٢ - أليس هذا المبدأ هو شعار « المنانية » الحديثة « لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة »
وقد رد علماء الأجل ، على هذه الذعة الفكرية وحضرها مقال د محمد حمادة د يوسف
القرضاوى د د يحيى عاشم فرغل وغيرهم .

٣- (تاريخ أخلاق أوروبا) من ١٧٨ .

ويقول نراهب « أغسطس » : « إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد ويهرأون بهم في دور التمثيل »^{١١} وقد عقد الدين الروماني سلطانه الروحي على معتنقيه . وهدت العاطفة الدينية في قلوب الناس حتى نجح الرومانيون على آلهتهم وأهليهم في بعض الأحيان ، كما لم يكن للدين تأثير في أخلاق الأمة الرومانية وسياستها ومجتمعها ، ولم يكن يملك عليهم شعورهم وميولهم ، ويراقب أخلاقهم وشرائعهم ، ولم يكن ديناً عميقاً يحكم على الروح ويبحث في أعماق القلب بل كان تقليد ، من التقليد ، كانت السياسة تقتضي البقاء عليه ولو بالاسم والرسم.

وفي هذا الشأن يسجل لعالم « بيكي » قائلا

« إن الدين الروماني كان يعتمد أساساً على الأثرة ، ولم يكن يرمي إلا إلى رفاهة الأفراد وسلامتهم من المصائب والكوارث . والكهنة على ذلك أنه ظهر في رومية مذات من الأبطال والعظماء ولكن لم يهتض فيها راحاً في ادب عرول عن مذات الحياة ولا سمح مثالا في تاريخ الروم للتصحية والإبشار ، لا ونجد لا تأثير فيه للدين ولكنه عيسى على الروطية »^{١٢}

كما غلب على الحضارة لرومية دينا حديدا شديدا به ، وشعرا تعرف به هو الروح الاستعمارية ، وذلك ما ورثته أوروبا المعاصرة عن أسلافها الروميين وحضارتهم فيها.

وفي هذا الشأن يسجل العالم الألماني لمسم « محمد أسد » في كتابه النفيس قائلا : « إن الفكرة التي كانت تسيطر على الإمبراطورية الرومانية هي احتكار القوة لها ، واستغلال الأمم الأخرى بصفة لوطن الروم فقط ، لم يكن

١- المراجع السابق ، ص ١٧٩

٢- المراجع السابق ، ص ١٧٧

رحلتها و تقاعس عليها بتعاضد من أى ظلم وقسوة من سبيل حصول حفص
 العيش لطيفة نادرة . أم ما تشتهر من عدل الروم فلم يكن إلا لمروى فقط ، إن
 حدد لسيرة لا يمكن أن تقوم إلا على إدراك مادي محض بلحمة والحصارة ، وإن
 كنت ماديتهم قد هذبت بلذوق عقلى ولكنها بعيدة عن جميع القيم الروحية . إن
 لروم سم يدور بالدين جدبا أبدا ، كانت الهيم انتقيدية محاكاة شاحبة لأساطير
 لإغريق وحرقاتهم ، وقد أمروا بهذه الأرواح محافظة على الرابطة الاجتماعية
 لتى كنت تربطهم وتوحدتهم ، فلم يكونوا يسعون لأكتهم بالشغل فى حياتهم
 لعبية. (١)

وعلى نهاية دور الحصار الرومية سال بحمة شعبها سهل لا تحفظ الخلق
 البهيمى ، وخاصة بحر ترفل في عيش ولذخ فيصا عظيم ، عاصر الروم
 فيه إنى لأدقان . وسالت فيه النظم الأخلاقية التى كان روم معروفين فيها
 كنصا ، وللهو ورفص م أدى إلى تزعزع بناء الاجتماعى لى البشة الرومية
 حتى كاد يهدم . وقد صوروا لعالم الأمر بكنى « درابو » صبت تدهور الحياة
 الاجتماعية فى الحياة لأربية قائلا :

« بلغت مدونة الرومية لى القوى الحرية وانمود السياسى أرجح
 ووصلت فى حصارة لى أقصى الدرجات هبطت فى فساد الأخلاق وهى
 لا تحفظ فى الدين والتهديب لى أسفل مدرجات ، يطر الرومان معبشتهم
 وأحدرو لى الأرض وستهروا ستهدرا ، وكان مبدؤهم ان الحياة إنما هى فرجة
 لتستمتع . يتشغل فيها الإنسان من نعم إلى ترف ومن فهو إلى لذة . ولم يكن
 رعدهم وصومهم فى بعض الأحيان لا لبيع على شهرة الطعام . ولم يكن
 اعتدالهم إلا ليطول به عمر العلة ، كان موائدهم تزهر بأوس الذهب والفضة
 مرصعة بالمواهر ، ويحتف بهم حدم فى ملابس جميلة جلابة ، وغدت رومية

١- (الإسلام على مفترق الطرق) ص ٣٨ ، ٣٩

حصان ، وغوان عاريت كاسيات غير متعفات تذلل دلالا ، ويريد في تعيهم حمامات باذحة ، وميادين يلهو واسعه ومصارع يتصارع فيها لأبطال مع لأبطال أو مع لسبع ، وقد أدرك الأبطال المعانجون مدبى دوحوا العالم أنه إن كان هناك شئ يستحق العبادة فهو القرة ، فكان نظام رومة المبنى يثقل عن أهنة الملك ، ولكنه كان ظلاء خداع كالذى مرء في حضارة ليون في عهد انحطاطها^(١).

وها هنا كما يقول أبو الحسن لندى حادثة جديدة بأن يسجنها التاريخ ويسود بها المؤرخون وهي إحتلاء لصراية عرش رومة الوثنية وكان ذلك بجلوس قسطنطين الذى اعتنق النصرانية على عرش الإباطرة ٦ ٤٠٠م فانتجرت معه النصرانية على الوثنية وبالت فجاء باسم تكن تحمل به من ملك عريض ، ودولة متروامية الأطراف ، وكسبة لا تعرفها كسبه ، ولما كان قسطنطين قد توصل إلى ملكه على جسر من أشلاء نصارى وأبهار من دمائهم اتقى أرقى من ادب عنه والنصر له ، عرف لهم جميع ويد لهم وجهه ورطاً لهم أكتافه وقلدهم صفاتيع ملكه ، ولكن انتصار النصارى فى ساحة القتال أدى إلى هزيمتهم فى معترك الأديان ، ورفضوا ملكاً عظيماً وحسرو دينا - بهما - جليلاً لأن الوثنية اليونانية ورومانية قد مسحت دين المسيح وأتباعه وكان أكثر مسحا له والصرى به هو قسطنطين حامى رمام النصرانية برصبة ، ورفع بونتها ، فلم تستطع النصرانية الرصبة بعد ما بدت من القرة وتوبة قسطنطين مقاليد الأمور ورمام لذلك - أن تفتح وتقطع دهر الوثنية وجرثومتها وكانت نتيجته أن اختلعت ميادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تشبى فيه الوثنية والنصرانية سواء بسواء ، وأن هذا الامبراطور - ندى كان عبداً للدين - لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئاً ، رأى لصحته الشخصية ، ولصلحة الخيين المتنافسين

١ (الدين والصم) للعالم الأمريكى دواير ص ٣٦ ، نقلا من (عالم حمر العالم بانحطاط مسيحية)

- النصراني والوثني أن يوحدهم ويؤلف بينهم ولم تستطع لتصراعية
استفحة بالوثنية المشوهة - نسي فقدت روحها وجمالها - أن تعبر من سيرة الروم
المنحطة ، وأن تبحث عنهم حياة ديدة نقية طاهرة واهتدعت رهبانية كانت شرا
على لمدينة الأوروبية - بصلة خاصة - وعلى لإنسانية بصلة عامة ١١

وهذا ما يدمعنا إلى بيان العصر التالي الذي يبرز أهم للابسات والمظاهر
التي أدت إلى اضطراب الفكر تدبى في الساحة الأوروبية - ومن كان ما سبق
من مبررات فكرية سادت الحضاريين الإغريقية والرومية قد شككت العقلية
لأوروبية حضارياً ، وفكرياً ، وديناً ، وعلمياً ، وصحياً يعتبر من أهم هذه
المظاهر ، وبعد من لركنير الرئيسة التي أدت إلى تصراع الفكري لدينى
والاضطراب العام في الحياة الفكرية التي شبت على الطابع والروح لأوروبية.

١- { ماذا خسر العالم بانتطاط المسلمين } من ١٨٤ - ١٨٦ يقتصر على يسير.

ثاناً: أهم الملاحظات والمظاهر التي أدت إلى اضطراب الفكر الديني في أوروبا:

إن الفكر الأوروبي عايش في ظل قرون همجية مظلمة ، ووسط بيئة مضطربة، لم تتصح فيها معالم دين الحق ، كما ولد في مساحة كانت مرتعاً خصباً لشحن الأنكر الوصفية المتساهلة ، ورغم بروع فجر الإسلام وظهور الدعوة الإسلامية إلا أنه لم يستقبل شعاع هذا النور إلاهني بأخيدة و نراهة وإلادعن بن استقبته على أنه مصلاب أديان من العصور اسحقية ، ومن ثم بدى اضطراب لفكر الديني في المساحة الأوروبية جنباً إلى واقع لكون وواقع الحياة، وواقع الإنسان نفسه ، وتجهت أفكاره محيرة ومضطربة في كلمة نظمه وتقنياته التي وضعها منهجاً لحياته وواقعته ، واضطربت مفاهيمه ، واحتدمت معابيره وموازناته ، وتباينت أهدافه وغاياته ، وتعددت حيله وأساليبه في الوصول لبعثه ومن يصبروا إليه ، وأسى لفكر وضعى أن يعرف ربه وولد جهل كنه نفسه ؟

لقد بدأ اضطراب الفكر الديني في أوروبا في تحديد ظاهرة التعبدية وذاتيتها، وكانت « ظاهرة التعبدية في سربك لإتسار لأوربي - ظاهرة محيرة لكتاب القرب الذين هتمرو بتدريسات الدينية

لهذا (ماكنس نوردوه) يرى أن الشعور بدين إحسان أصيل يجده الإنسان غير المتعبدية كما يجده أعلى لسان تفكيراً وأعظمهم حدساً ويرى أيضاً - أن الديانات سبقت ما بقيت الإنسانية ، وأنها مستجاب مع درجة الثقافة العقلية التي بلغها الجماعة.

يرى انجها آخر يثده فيسوف غرسى و مولتير « يفسر ظاهرة تشدين بأنها . حترع دهاة ماكرين من القبادسة ولكهنة الدين وجدو لعيف من الحسنى والسحما يصدقونهم ويدهمون حركاتهم »

- كما يشمله - أيضا « جان جاك روسو » الذي يرى أن ظاهرة التدين في المجتمع نتيجة جشع الدين سبقوا فوسعوا أيديهم على مساحات الأرض الواسعة ثم حدثوا الجمهور في افتعاله من قانون أو نظام دين

- هذا الاتجاه الأخير ماهر إلا امتدادا للمسيحية اليونانية والرومانية والحصرية القديمة التي روجها السفسطائيون بملامحتهم بقائمة على التشكيك والمعالجات التي رست فكرة أن لقوانين وبيانات في تصوراتهم ماهرة إلا ضرورة سياسية ماهرة تهدف إلى علاج أمر من المجتمع « ١١ »

ولم يستمر أكثر من عشر حتى كان مجيء « ماكس بورهه » هو التصحيح بفكرة بحدوثه للمسيحية القديمة ، واكتشفت حقائق دينية في خارج المجتمعات الأوروبية تبين من معارستها أن لتدين فكرة مشددة لم تحل عنها أمة من الأمم في لديم وحدث رغم تفاوت المجتمعات في مد رج لتدين ولرقى ودركات التهجئة والجاهلية

- يقول « بارثلمى سانت هيلير » هذا سفر العظيم الذي يستحث عقول ، ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ كبرياء ؟ كيف يستهين ؟ ، ما الحياء ؟ ، ما الموت ؟ ، نعم . هذه لأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها جوابا جيدة أو رديئة . مقبولة أو سقيمة ، ثابتة أو متحركة .

- ويقول « شاف وان » مهم يكن تقدما العجيب في العصر الحاضر ، فإن عقبا في أوقات الهدوء والراحة وسكون عظماء كذا أو متواضعين ، خيرا كذا أو أشرار ، يعود إلى تتأهل في مسائل الأريية

- ويقول « هنري برجسون » لقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وعلوم وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير دين .

١- نقل من ٦٠٠ في أهل الكتاب لعالم إلى كلمة سر ، د رادف شلبي ص ٤

كما صدرت هذه الرغبة الدينية مشتركة بين كثر الأجسام البشرية حتى أشدها حسجية ، وأقربها إلى حياة الحيوانية وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبها فوق طبيعته هو إحدى النزعات العالمية الخفية للإنسانية » (١)

- ويقول « أرتست ديمان » « يمكن أن تبطل حرية استعصاء العقل وتعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحي الدين بل يبقى حجة باطقة على بطلان المذهب المادي » (٢)

- ويقول « بلونارك » « ليس أهم ضرورت للإنسان وأنه من الممكن أن نجد مدن بلا أسوار وبلا محروس وبلا ثروة وبلا أدب ولكن لم ير إنسان قط مدينة بلا معبد أو لا تارس الصلاة » (٣).

* هيرة علماء الغرب في تفسير مظاهر الدين وعنده :

وكيف اضطرب كتاب الغرب في ظاهره الدين ، فقد حيرهم كذلك مظهره عند لادين ، وشتطوا في تفسير ظاهرة ادين بالنسب لدافع لها ، ولحدث عنها

فقد علل بعضهم ظاهرة لادين من عبادة الطبيعة بأن لاسان الأول لم يكن يهيم دياه انش يعيش بها ، لقد كان الكثر من عالم الأرض ولكون محجوباً عنه لا يقدر على تصور وجوده فاستشعر الخوف من الطبيعة وقد لم يستطع أن يجعل كثر من ظاهرها المحيطه به اعتبرها ذات حياة مثله ، ثم شعر بأنها أشد منه قوة فكان طبيعي أن يترصدها حتى يحصل على المعونة منها أو تمنع أذيها عنه.

ومن ثم أحد الإنسان الأول في عبادة الطبيعة ومظاهرها ، ثم تنوع مظهر

١- ارجع المجلد ص ٥

٢- المرجع السابق ص ٦

٣- زلا من أخط ، المنهج الغربى بوند ، للاستناد أورد الجدى ص ٥٠

المعبود من عدم الطبيعة ، فتارة يكون للشمس اذا كانت حياة لإنسان في بلاد
 تمتدح فيها أشعة الشمس ، وتارة يكون لمعبود مسقط ماء أو بركان إذا كان
 أحدهما ذا تأثير خاص في حياة الناس الذين يعيشون في محيطه ، وتارة يكون
 لمعبود بقرة أو جارية أو حيواناً آخر إذا كان حيواناً في بيئته في بقاء
 حياة الإنسان .

وعلى البعض الآخر ظاهره اتدين في عبادة الروح والأسلاف نتيجة عدم
 إدراك الإنسان لأرواح الموتي وخياله وعظمه أن لدى موت سوف تعود روحه .
 وعلى الروي والأحلام قد سيطرت على بعض الناس كتفسير لظاهرة تتسارع
 فعبود لأرواح للشيوخ ظاهرة عنفاد حياة الروح بعد فناء الجسد ، وعلى أساس
 هذه نظرية مثأت عبادة الأسلاف ، بها مؤسسة على لشعر بأن روح السلف
 تحوم حول الناس وتها لهد ، مثأت لكره تنقل الأرواح دحور روح جسد ميت
 في جسد من لأجساد المعبودة

وعلى آخرون ظاهرة اتدين في عبادة النصب ويسرود بأنها حديد من
 عبادة الطبيعة وعبادة لأروح ، غير أنها عبادة متوجهة إلى تشبيه بالآله أو هي
 يعتبر معبود ، وقد يحسن هذا الشيء تشبيه من مكان إلى مكان على أنه طمس ،
 وكثيراً ما يسمى صما ، وما لأصنام لا نصب « تشبیه » ١١

وعلى قوم ظاهره اتدين في عبادة كائنات أعلى وعظمه كتب « حروف »
 قائلين عبادة كائنات أعلى مهيس على كل شيء أمر متأخر لحدوث عبادة ولكنها
 وجدت في بعض الأحيان بين أساس الأوبيين ، وكما في هيلتها تتبارك عبادة
 آلهة شتى ثم تحولت بالتدريج إلى التوحيد باستبعاد الآلهة بصعري لأقل حظراً

١- الفيتشيو اعتقاد أن لكي مادة روح تحمل بها ، أن الاستعداد على تلك المادة يمكن الإنسان من
 استخدام روحها والاتحاد بها نقلاً من (ب) حل نكتاب تعادراً ص ٩ هامش

وظل هذا الاعتقاد يرقى ويصير شيئاً خشياً حتى كان أرقى أشكال الدين
اليوم (١).

في كتابه (العقيدة الهندائية ، فهم يرون أن الدياتيين يهتمون بالبحث عن
الأسباب وبحث للظواهر الطبيعية ، ويرى أن أقوى العيبية هي التي تعمل كما
ما يشاهدونه من بركان ووعده وبرق و اضطراب انبثرون في تفسير هذه المنطق
لعقلية الهندائية فيحسبهم برده إلى البلادة و يقبـه ، و بعض الآخر ينفي هذه
البلادة ويرجعه إلى تحكم العادات و سبليل السائدة في مجتمعاتهم . (٢)

* اضطراب الفكر الديني لدى العقلية الأوروبية في بيان مفهوم الدين :

وقد نشأ هذا الاضطراب نتيجة لثقافة الديني حورثة عن الأمم السالفة
في الحضارة اليونانية والرومانية ، ولم تكن لعقيدة في هذه الميشتات و توضوح
سواء كان لها يتعمق بالاعتقاد أو انشرح أو سمك انعام لأجسادهم ، كما كان
مبحث هذه الاضطراب نتيجة لمظاهر والملابس التي سببرها من خلال عرسنا
لهذا المنصر.

ومن هذه المباحث التي كان لها أثر (محاكم تفتيش) والسمعة التي
لمرستها الكنيسة على أتباعها بالحجر على الفكر أن يتجسس على انحراف
ليبحث ، وتولدت عن هذه نسلطة رهيبة نفسية صارب يحكم بتقديم عادة ديمية
فلم يعد من السهل أن يعالج لأوروبي مسألة في ندين.

يقول « جروف » « من الصعب أن يعالج الإنسان ^٣ موضوع الدين
بطريقة علمية وذلك لما سدين من اعزمة وعبادة عند الناس فلا يكاد الكاتب

١- نظر (المجتمع ومشاكله ، كتابات جروف بقلا من مرجع المذكور ص ٦ ٨

٢- بقلا من ١ أهل الكتاب تعالرو إلى قلبي سواء د راولف شين ٢٢ ٤٩ لزيد من الاستفادة

٣- يقصد الإنسان الأوروبي ، لأنه منهم ويكتب عن دينهم

بحاول ذلك حتى يوصم بأنه ملحد أو هرطيق^(١) مهما كان بساطته له على بحث ساميا حائضا وانظر أن الذين من الأمور التي يقرها لإنسان من جهة بقرار بهائيا فهو لا يظن أن يدين حد من لدن برآي يحذف رأيه أو يعرض أي شرح أو تفسير يدين ما عرفة وأدعه ويكاد أن يكون لكل فرد تفسيره الخاص وهذا اختلاف كثير في نرى حتى من حيث ما يجب أن يبرز تحت اسم انديس . ومن ثم كان عند عدد من التعريفات لا حصر لها بل التوقع به يكاد يكون لكل كاتب عن انديس تعريف وتفسير في الموضوع يختلف عما لسواء^(٢).

وي بعضه ويركز اضطراب العقيدة لأوربييه في تحديد هذا بلابية انديس ومفهومة . ما استعرضه فضيلة مرحوم الدكتور محمد عبدالله درار لعرض فائهم مفهوم انديس في كتابه القيم^(٣) يذكر أربعة عشر تعريفا يشتهر كتاب العرب ثم لعدة ودحسها ثم علق قائلا أن التعريف علماء أوروبا يدين بدت في ثوب هين لأنها لم تلاحظ سوى الجناح بسببي وتجهيد ندب من عصره أروحي ، وأبعدو ندب عن أحسن صفاته وهو الألوهية والتدبير فقد تأثر لعكر لأوربي بورشه القديمة فأصغى على لدين حلة لا كيب ، أو البروتوكول ، يصير عدة جتيد دجة مثل باقة نورد ، شي توصف على لبور لوني أو بس والشوب

١ - الهرطقة كلمة يونانية لأجل معاد نرى مستغل أو الاجتهاد لفردي (وقد استخدمتها الكنيسة على ملحد خارج على مسيحية نظر الامبراطورية الرومانية بين الذين بالبربرية) اسحق هيبس ص ٣٤ ، دار المطبوعات ١٩٧٢م
ونظر أرويه في سقوط الامبراطورية الرومانية ، د محمودة محمد الخريفي هامش ص ٧٥ دار المطبوعات ١٩٨١م.

٢ - (يا أهل الكفاب تعالوا) ، ص ٢٢ - ٢٤ بمصرف

٣ - (الذين) ص ٣٤ - ٤٤ ، راجع إليه لزيد من الاستعانة

الأسود حداذا على عرير رجل أو وصح الختام في لأصبح للتعبير بين الأعزب والمتزوج وتظهر هذه لفكرة واضحة في كلام « جروف » أو يقول

(لقد تقدم الدين وأدبية في سبيل رقي جينا إلى حسب ، فالدين من هذه الوجهة يشبه غيره من الأوضاع الاجتماعية) ويعود أيضا : (الدين كغيره من الأوضاع الاجتماعية الأخرى ويدل على طور رقي^١

« اضطراب العقلية الأوروبية في مسألة الدين وتطوره

بمحدثين د رؤف شبيبي شارحا هذا الاضطراب فيقول

أثرت الحياة الموروثة للمحضمان برؤية نقدية في أوروبا على عقلية الأوربية فأفسدت تفكيرها لدينى ، وبعد اضمحلال الاضطراب برى آخر من الاضطرابات الفكرية حول تحديد نظرية منشأ الدين وتطوره ، ولقد ورت الفكر لأوربي علم مقارنة الأديان عدة نظريات نفس منشأ الدين وتطوره.

الأولى أن مصدر الدين أساسى على خلاف كثير من الفروع نرى بسببها أصحاب هذه النظرية أن ثبات ذلك وهذه النظرية مع أصحابها يتكروا حقيقة الألوهية ، وسادت هذه النظرية أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادى تأثر بمذهب انطونر سقندى الذى حاول تطبيقه على مقارنة لأديان كل من « سبسر » و « بيغور » و « فريور » و « دوكايم »

الثانية : أن مصدر لدين هو تجارب نفسية ومن لقائلين بهذه النظرية

أ- أوجست مهابنير لقائل أن لعقيدة تتولد في الإنسان عند مشأته على أثر شعوره بمناقضة جوهريه بين حساسيته وإرادته

ب- هيرى برجمسون القائل أن لعقيدة تقوم على هو عمل نفسيه تشبهها حياة لإنسان اليوميه خاصة ما يتعلق بالقوى بين الأدبية التي يعرضها

١- (للمجتمع ومشاكله) نقلا من (يا أمس الكتاب تعالوا) ص ٣٩

اجتمع ، وب يتعمق بأحداث مستقبل انسى لا يمكن التنبؤ به بصفة
جازمة.

الغالبية ترى أن الله هو مصدر الدين سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير
مباشرة ، وقد تضمن هذه النظرية (لانج وشريدن وبركنسن) وتبعاً لهذا
ختلف علماء مقارن الأديان في نظرية التطور الدينى ، كيف بدأ (١)
لقائون بآلهة وبعائلون بالتطور ، لا يسمعون الحديث عن دين
منطقه بدائية ، فقد أعلن نعمت مهم بجهنم تدرجها فيما فإدما تدخل
أحدهم في تعبيرات لهذه الديانات فقد ناقص نفسه وأقصى بحثه في عبث
محكوم عليه مسبقاً أنه غير ممكن. (٢)

ومن ثم بدت العقيدة الأوربية اشتعنة بعبادة الأديان بأنها مضطربة « لأنها
ورثت ديانات وثنية لا غنى فيها لروح و فكر » ولأنها تعصبت لمهجة عقلية
لأعققت دائرة العروض فريست ولأنها عبر جهادية في مذهب البحث فأفسدت
عناصر المباس فحطت بين الدين والصناعة و لوجي وأمن وأسرع وانتهزل (٣)

وكذلك من آثار هذا الاضطراب فكرى اندى غلب على العقيدة الأوربية قبل
الدين المسيحية وثمة نظروف انسى عاشتها أوربا كان يوجد فيها مجموعة
أديان قسمها بعضهم من لسانية (دين أوحده الاجتهاد لبشرى فقط ، دين قائم
على انظرون ، دين قائم على الإلهام ولشعور دين قائم على التحرى والتفكير ،
دين قائم على الشربيم والبرقص ، دين قائم على سفك الدم ، و الاضطراب
الروحي ، دين قائم على الاصنام دين قائم على التحقيق في النفس العاصمة

١- لمزيد من الاستعداد نسرجه أنظر نشاء الدين د على سامى الخضار ١٩٤٩م.

٢- (١) أهل الكتاب معالو ١ من ٣٦ ٣٧ ، وورد على هذه النظريات انظر (الدين) لعبدالله

دزاور

٣- المرجع السابق ص ٤٤

والمراسم ، وأحروهم « هارتزن » قسمها إلى خمسة أديان (دين التوحيد والكاذب كدين هود أمريكي ، دين الفناء لمطلق (يهودية) ، دين الدهر والشيء بهم (روم بديعة) ، دين لزهة (البرهمية) دين الأرواح (نمرونية) ، وقسمها آخرون إلى أربعة أديان (عبادة المعبودات لمسعدة ودين المحبة والشياطين ، دين السحر وشعوذة دين عبادة الأشخاص)^{١١} ، ولقد تأثرت العقيدة الأوروبية بهذه الأوهام قدي وحديث ، أدى إلى اضطربها حتى بعد دخول أورب النصرانية وتأثر النصرانية بعد تحريفها بالأديان الوثنية^{١٢} .

لأمر الذي يدفع إلى مظهر هذه الاضطراب وأحدها في نقاط ثلاثة

أولاً : الصراع الفكري بين اليهودية والنصرانية

ثانياً : دخول « بولس » في النصرانية

ثالثاً : دخول الامبراطور الروماني « قسطنطين » في النصرانية.

رابعاً : تأثر النصرانية بالنصورات الوثنية والأساطير والموروثات القديمة

لأهم السانفة عليها

خامساً : سيطرة الكنيسة على الحياة لأوروبية.

سادساً : نظام الرهبنة الذي ابتدعه رجال الكهنوت.

سابعاً : قسادة رجال الدين (البطاركة)

ثامناً : مسألة صكوك الصفراء

تاسعاً : نشأة النزاع بين الجاهلية والامبراطورية.

عاشراً : الصراع بين الكنيسة ورجال العلم.

ولي مع كل نقطة من هذه النقاط وقفه شرحها أقول وبالله توفيق

١- المرجع السابق ص ٤٤

٢- أنظر (تأثر مسيحيه بالأديان الوثنية د - حمد عويش رسالة بعلميه مطبوعة بكنية أصول الدين والدعوة)

من يدرس طبيعة المجتمع الأوروبي سيدرس بجملاء أن الأمم الأوروبية كانت تنسكج في ظلام الجهل لطبق والامية العاشية و الحروب الدامية . ولم يسبق فيها فجر احصارة والعمى ، ولم تظهر على مسرحها الأندلس الإسلامية بتقوى رسالتها العممية و الدينية ، ولم تصورها احداث . فضلا عن أنها كانت يعزل عن ثقافة الحضارة الإنسانية بعيدة عنها ، لا تعرف عن العالم ولا يعرف العالم المتمسك بها إلا قديلا ، وكذا فكرها الدينى بين ديانات وثنية شائبة موروثة . وبين مصرية وليدة ، ولم تكن يدات رسالة فى يدى ، ولا بصاحبة راية فى سياسة

وعن هذه الحياة العلمية والدينية والاجتماعية ، يحدثنا هـ ج . « وبهز » قائلا

« لم تكن لى أوروبا - من القرن الخامس إلى القرن العاشر الميلادى - أمارات الوحدة ونظم وأطبق عبيد لى حدك وكان هذا اللبس ظلاماً وسواداً قد كانت همجية ذلك العهد أشد هولاً وأظلم من همجية العهد القديم لأنها كانت أشبه بجملة حضارة كبرى قد تعلمت ، وقد انقضت معالم هذه الحضارة ، وقضى عليها بالزوال » (١) .

وهذا ما يؤكد أن لفكر الأوروبي قد عاش فى ظروف لهمجية المظلمة لى سم تتصع فيها أية معالم للحياة الاجتماعية والدينية وغيرها ، وأن ثقافته الدينية كانت ثقافة موروثة عن الأمم السالفة ولم تكن عقيدة تلك الأمم لسابقة واضحة لا فى الاعتقاد ولا فى الشرح ولا فى سلوك الإنسانى ، ومن ثم يظهر لنا - كما سبق بيانه - أن أوس مظاهر اضطراب الفكر الدينى فى لصاحة لأوروبية لشقالة الدينية لتوارثه عن الأمم السالفة (ليرمانية والرومانية والمصرية القديمة وغيرهم) .

١- نقلا من (ماذا شعر العالم) ، ص ٤٤

وتأتى ثلاثت أو مظاهر التى أدت إلى هذا الاضطراب يكمن فى النقطة التالية .

* الصراع الفكرى بين اليهود والنصارى

من المعلوم أن رسالات الوحي الإلهى ما جاءت إلا لتكون منهجاً للحياة ، ومنها اليهودية فقد جاءت لتكون منهجاً لحياة بنى اسرائيل كذلك جاءت النصرانية لتكون المنهج لمعدل لبني اسرائيل ، ولكن اليهود لم يقبلوا رسالة السيد المسيح عليه السلام ولم يقبلوا منه التحريف الذى جاءهم به من عند الله تعالى ، ومن ثم قاوموا المسيح عليه السلام وقاموا بدعوتهم ، ووقفوا ضد أتباعه وأتباعه ، وانتهى الأمر بهم إلى إعدامه « بيلاطس » الحاكم الروماني على أرض الشام يومئذ بمحاولة قتل المسيح عليه السلام وصلبه ، لولا أن الله تعالى رفعه إليه لمى صورة لا تعدم كقيمتها وسارت الأمور بعد ذلك بين اليهود وأتباعهم ، والنصارى وأتباعهم سيرتها بنائسة ، فبدور بدور لحق على اليهود من نفوس الذين صاروا نصارى كما عرست بدور بكره من نفوس اليهود على النصارى ، ونقبت بانفصال أتباع المسيح عليه السلام عن اليهود وانفصال النصرانية عن اليهودية ، ووقع لفصام الشكك بينهما (١) .

ومن يقرأ التاريخ سيجد أن الصراع الفكرى قد شتد أواره بين أتباعهما ، فضلاً عن لسلوك العام بين أتباعهما ، ولو سجلنا تصرفات اليهود مع النصارى وردود أعمال النصارى عليهم بطل بها المقدم (٢) غير أننى أسطر بعضها ، لكى يظهر للفكرى الكريم آثار هذا الصراع فلقد عدى يهود النصارى وشأ العداء ضد أم السيد المسيح وضد المسيح ، ضد أتباعه وضد الشعوب النصرانية في

١- (استقبل نهذا الدين) سيد قطب ، ص ٢٥ ، ٢٦ وتصرف يسير

٢- ولزيد من الاستفادة انظر (اليهود) لآحمد شلبى ، حذابه لخيرى (لابن القيم

كن رحمان ومكان ، قتل ولعن ، وسعيل وبترار ، واثر العنق ، وحياكة الجبل
والخيانات ، وشعل نار الحروب ، واستغلال الأحوال والظروف وشاعة المسو
والفجور ، وسند الدماء ، وسرقة أوقات الشعوب والتطفل عليها ، وكان من
نتيجة هذا لسلوك رد فعل عييف ، وصراع صار صرير بل صرع دموي وهيب
من جانب النصارى .

وتقول الصرع لدى دار بين انصارى واليهود في أمرين (صراع فكري
احرف فيه نصارى عن اليهود ، وبعدوا كل لبعث عن عقيدة وشريعة وأخلاق
اليهود وتقصرو معهم وأدخروا في دينهم ما ليس منه ، وحذفوا منه ما كن
فيه وما قال لليهود شيك إلا حاول انصارى نقضه وتفسيره وتبديله ، وصراع
دموي أذق فيه النصارى بيهود شتى ألوان الاضطهاد والتعذيب ^(١) انشركت
فيه كل الأمم النصرانية ، وكانت القسوة مع لبهود تعد مآثره يتدح النصارى
بعضهم بعضا عليها) ،

وأسمو صرع بعقدي وانكسري ودموي بين كل من نصارى وانبيهود من
متنازع وآثار دمورت عقيدتهم وأعطتهم عن تحريف وتبديل وتفسير كن من
الأمم بسبب عتيدته وشعائره وأخلاقه كيد ، وتذليلها بجانب الآخر ، حتى سعلوا
من عقائدهم ، وأصبح كل منهم لا دين به ، وتفرعت عنهم مذاهب وطوائف
وسيدات هدامة مزقت الإنسانية شرمزق ، كما أوضح «الإنسانى الأوروبى - بصفة
خاصة - في اضطراب فكره لدينى وشئت في شتى ماضي حياته .

وثالث مظاهر الاضطراب لفكر بدينى أنذى متدب أوروبا يعمل في

١ انظر اليهودية ، د حمد شمس من ٢٢ ، ر (نهاية الجهادى) ، دائرة معارف القرن
العشرين ١ ، محمد فريد وجدى ، ج ١ ، ص ٨٥ - ٢٨٦

* دخول « بولس » في النصرانية :

« بولس » لم ير المسيح عليه السلام وإنما دخل النصرانية من الوثنية الرومانية وكان من نصيبه أن يتولى نشر النصرانية في أوروبا مطعنة بما رسبه في تصوراته من الوثنية الرومانية والفلسفة الإغريقية ، وكانت هذه كدرة على الفكر الديني النصراني منذ أيامها الأولى في أوروبا ، فسوق ما خلق بها من تحريف من فترة الاصطهاد الأوربي فشره تناقل الرويات في ظروف لا تسمح بتحريصها ولا بقواتها .

وكتب - كما يقول الأستاذ العقيد بولس رسائله بعد ذلك - بعد انقراض الأول لميلادي وهي شاهد على امتزاج الأمثلة لدينية بصور الفلسفة ولا سيما فلسفة الخلول ^{١١} . رسائله أدخلة في النصرانية من تعاليم ما أرسل منه به من ملطون ، مما أثار اضطرابا فكريا ودينا في ساحة البيئة الأوروبية .

هذا ولم تكن نصرانية - كما يقول الأستاذ أبو حسن بنودي - في يوم من الأيام من شخصيات واضوح ومعالجة قصايا الإنسان بحيث تقوم عليها حضارة إنسانية أو تسير في صورتها دولة ، ولكن فيها آثار من تعاليم السيد المسيح - عليه السلام - وعنده مسحة من دين لتوحيد ، حتى جاء « بولس » لظلمت نورها وطمعها بخراصات الجدلية التي انتقل منها والوثنية لتسبباً عنها ، حتى أصبحت انصرانية مزيجاً من الخرافات اليونانية والوثنية الرومانية والأفلاطونية المصرية واليهودية أصبحت في جنبها تعاليم المسيح كما تتلشى القطرة في اليم وعادت نسجها حشيباً من معتقدات وتقاليد لا تغدو الروح ولا تعد العقل ولا تشمل العاطفة ، ولا تعد معصلات الحياة ولا تثير المسبيل ، بل أصبحت هريزاً دواب لمحررين وتأويل لمجاهدين تحول بين الإنسان والعدم والفكر وأصبحت على تعاقب لعصر ديانة وثنية ^{١٢} ، مصطربة ، فلدت النصرانية

١ - (الدين) الأستاذ عبد من مجرود المقاد ، ص ١٦٩ .

٢ - (ملطون خسر العالم ..) ص ٣٨ .

دخول «بولس» الوثني فيها ، رعايتها ، وإنسانيتها وروحها . ولو بحث المسيح - عيسى السلام - لأذكر على لحي دعوته ، ومعتقد الديني ، وأصبحت النصرانية وما طرأ عليها من فكر بشري وصعي لا تحمل للعالم رسالة ، ولا للأمم دعوة ، وأغلست في معيقاتها ، ونصب صعيد حياتها ، ولا تمك مشرعا صائبا من الدين لإلهي ، ولا نظاما ثابتا من حكم انبشري ، مما أوقع اضطرابا فكريا ودينا واجتماعيا في ساحة أوروبا .

رابع مظاهر هذا الاضطراب يتمثل في :

« ظهور الامبراطور الروماني ، قسطنطين ، في المهرالية :

لقد كانت لكثرة العظمى - كما يقول ابن حزم سيد قطب (١) - في اضطراب الفكر الديني في أوروبا ، كانت في الحدث الذي تم بعد ذلك في القرن الرابع الميلادي تغير الأمر في دخول الامبراطور الروماني قسطنطين النصرانية وكان دخوله في ظاهرة تنحصر النصرانية وطريقها على «مسيحية» والدين لدى عرضه لم يكن دين المسيح وإنما دين الكنيسة بوصفي .

« بعد » « دهر » « لأمر يكي في كتابه ، الدين والعلم ، هذا الحدث وأثره لتكدة يقول :

(حدث الوثني والشرك في نصرانية بتأثير المدخل ، الذين تقننوا وظائف حظيرة ، وعناصب عالية في دولة لرومية ، بظهورهم بالنصرانية ولم يكتفوا بحملوا بأمر الدين ، ولم يحتضوا له يوما من الأيام ، وكذلك كان « قسطنطين » فقد مضى صمرا في الظلم والفساد ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الديمية إلا قليلا في آخر عمره سنة ٣٢٧م .

١- (استقبل لهذا الدين) ص ٢٨ ٢٩

إن الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت « قسطنطين »
 أملاك ، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها ، وكانت
 نتيجة كسادها ، احتللت مبادئها ، وشأ من ذلك دين جديد ، تتجلى فيه
 « نصرانية والوثنية سواء بسواء ».

إن هذا الامبراطور الذي كان عهد لنديها ، والذي لم تكن عقائده لدينية
 تساوى شيئاً ، رأى لمصلحته الشخصية ، وبمصلحة الخريجين القسوس ، نصراني
 والوثني - أن يوحدهما ويؤلف بينهما حتى يرادى النصراني لم يكرهوا
 عليه عطفه ، ولعنهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة - النصرانية المطمعة
 بالوثنية - ستردهم في طغيان ولتحت بانعقاد الوثنية القديمة ^(١) وسبب كل
 الدين انصراني هائلة الأمر من أداس الوثنية وأرجاسها ^(٢).

ولكن هذه الديانة الموصفة جديدة لم تتحضر - بعد ذلك - قط من أداس
 الوثنية وأرجاسها - كب أمل وصغر الفكر الديني في النصرانية - فقد ظلت
 تتلبس بهذه الأساطير وتصورات الاعتقادية الوثنية ، ثم زادت لطيفة به ،
 فأصبحت تنبش كذلك بالخلقات اسبسية والعنصرية ، وأصبحت هذه العقيدة
 الوضعية تغير وتنقح لتحقيق مآرب سياسية.

وهي هنا لشأن يحدث « ألفرد بتر » في كتابه : « فتح العرب لمصر
 ترجمة لأستاذ محمد فريد أبو حديد » قائلا « إن ذبيكة الغربيين - طغص
 والسادس الميلادين - كما عهد بصال متصل بين المصريين ورومانين ، بصال
 يدعيه اختلاف في الجنس واحلاف في الدين وكان اختلاف الدين أشد من
 اختلاف الجنس ، إذا كانت عند العمل في ذلك الوقت ، تلك العدوة بين الحكاية

١ انظر آثار مسيحية بالأديان الوضعية ، بباله دكتوراه ، احمد هجبة محفوظ مكتبة أنسود
 الدين بطنط

٢- ثلاث من (مائة خسر العالم بالخطاط حسين) ، ص ١٨٤ ، ١٨٦.

والمونوفيسية وكانت انطاكية الاولى كما يدعى عليها اسمها - حرب مذهب لدولة الامبراطورية وحرب ملك والبلاد ، وكانت تصعد العقيدة المروثة وهي «ردوج طبيعة المسيح ، على حين أن لطائفة أخرى وهي حزب نبط المونيسيون - أهل مصر - كانت تستبشع تلك العقيدة وتمنعهم ، ولجأ بها حربا عيفة ، في حادثة هوجاء - يصعب علينا أن نتصوره ، أو نعرف كنهها في قوم يعاقبون ، بل يؤمنون بالإلهييل .^(١)

كما يصور ذلك - أيم - ب و أرنولد في كتاب (الدعوة إلى الإسلام) مبينا لحالات انطاعمي السياسي المصري وأثره في الابتداعات والإضافات وتعديلات هي الفكر بديهي انصراسي فيقول

« لقد أتيح «جستين» لير يفتح الاسلامي ثقة عام في أن يكسب الامبراطورية برومانية مظهر من مظاهر الوحدة ولكن سرعان ما تصدعت بعد موته ، وأصبحت في حاجة ماسة الى شعور قوى مشترك ، يربط الولايات وحاضر الدولة ، أم « هرقل » فقد بدأ جهود سم تصادف نجاحا كاملا في إعادة ربط النظام بالحكومة المركزية ولكن ما اتخذه من وسائل حادة في سبيل التوثيق قد أدى إلى زيادة الانقسام بدلا من نقضاء عليه ، ولم يكن ثمة ما يقوم مقام شعور بالانتماء سوى المعرطف الدينية ، فهاون بتفسيره العقيدة تفسيراً يستعين به على تهدئة نفوس ، أن يثق ما يمكن أن يشجر بعد ذلك بين الطوائف المتناحرة من حصومات وأن يوجد بين الخارجيين عيسى لدين وبين لكنائس امتناحرة واحتدم جدل مرهبة قريين من الزمان بين طائفة الأرثوذكس وبين اليعاقبة لكن هرقل قد نفى ، لمصير أنذى انشهى اليه كثيرون جفا عن كانوا يأمون أن يقرمو دهائم سلام ، ذلك بأن جدل سم يستخدم مرة أخرى كأصناف ما يكون فحسب ، بل ين هرقل نفسه قد وصم بالإلحاد ، وجر على نفسه منقط الطائفتين

١ - نقل من (المستقبل لهذا الدين) ص ٣

على الصواء ١١) ي يؤكد أن جهود هذا لامبراطور لتفسير الدين لم تكن من أجل الدين ولكنها كانت محاولة سياسية بعته دفعه إليها ضعف القومية التي تربط بين أجزاء الامبراطورية ، فأراد أن يتحد من الدين مما بدلا من ضم القومية.

هذه الملاحظات والمظاهر لسياسة التي عجز بها الفكر الديني في البهينة النصرانية في يد نشأتها أولا ، ثم عند تصورها السياسي على ذلك النحو لها ، ثم ما تلا ذلك لا تتصور من حلفاء سياسية وعسكرية وتحريفات وتعديلات في العقيدة بسببها ثالث كل أولئك قد ملأ التصور لاعتقادي فيها بعناصر شرعية كل العراة على طبيعتها وعلى طبيعة بدين إلهي كله ، ومن ثم لم يعد التصور لصرى كما سمعته التحريفات لغوية أولا ثم كما صاغته المجمع المقدسة العامة والخاصة أجراً ٢١ - قدرا على أن يعطى التفسير الإلهي بلوجود وحقيقته ، وحقيقة صفته ببالقه ، وحقيقة هذا الخالق وصدقه ، وحقيقة لوجود الإنساني وحياته وطريقه هذه المقومات التي لابد أن تصبح كي يصبح النظام الاجتماعي الذي يمشق منها ويقوم بعد ذلك عليها. ١٣)

ولم يلق الأمر عند لساء التصور الاعتقادي على هذا النحو ، بل صحت الملاحظات النكتة في طريقها خطوات عائرة ، تظهر وتؤكد اضطراب الفكر الديني في الساحة الأوروبية ويشمل هذا - أيضا - في

*** سيطرة الكنيسة على المجتمع الأوروبي ***

لقد سبهرت كنيسة - في العصور الوسطى - وتحكمت بشكل رئيسي وأساسى في سير الأحداث في أبلاد الأوروبية ، وكان لها سيطرتها وعمودها

١- المرجع المذكور ص ٥٢ - ٥٣ من الترجمة العربية.

٢ - تراجع بالتفصيل لزبد من الاعادة : محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة.

٣- (المستقبل لوك الدين) ص ٣٢ ، ٣٣ ، يتصرف بيسر

وما الاضطهاد والتعذيب والحرمان واسعن^(١)

كما اضطُر الإنسان الأوروبي أن يؤثر الخسوع والخصوع لما تقرره الكنيسة واتلى أسباب لخرع بالصياغة لميطرة الكنيسة واستبدادها ، ولذلك بقيت أوروبا في ظل العصور الوسطى تتسكع في دياجير الجهل والخرافة والاضطهاد^(٢) . وحير ما يؤكد ويؤكد هذه النظرة البظيمة التي سادت الفكر الأوروبي ، واعتدية انغريية في العصور الوسطى ما سجله المرينيون أنفسهم بيدرك - القاري الكريم - مدى الأحرار بعمق والفكرى الذى كانت عليه بلاد العرب^(٣) .

وما يؤكد أن أوروبا لم تعرف دين الله تعالى المنزل على خلقه لإلهية . وقد عرفت صورة محرفة من لوروثاب الفكرية لوضعية « أن الكنيسة قد أجمعت في حق الله تعالى جرمين مزدوجين

- الأولى ، أنها عزفت عن تطبيق شرع الله وجبه الأولى والمهر الأكبر لوجودها - إن كان لوجودها مبرر)

- والثانية أنها استحدثت سلطانها لدى حاديت من أجل الحصول عليه وأراقت اندماء في حصاد أساس جسيم (مبركهم ورجع عنهم) لهرها وجبروتها هي فجعلت من رجائها رياء من دون الله

ومن هنا فاجرائم التي ارتكبتها كنيسة جرائم بشعة متركب بعضها على بعض من أي زوية نظرت إليها :

فمن ناحية لدين المنزل شوهته وحرقتة بفصل لعقيدة عن لشرعية وتقديسه للناس لعقيدة صرنا بلا تشريع ي مسحها مشوها لا يمثل دين الله الحق ، ثم

١- انظر (قصة الصراع بين الدين والفلسفة - توماس الطويل ، ص ٩٥

٢- (ما ، غسر العالم ، ٤) ، ص ١٩٧

٣- انظر (أوروبا العصور الوسطى) ج ٢ ، ص ٤١٧

ادعت للناس أن هذا هو الدين لإلهي . وررعت في عقول الناس تصورا خاطئا بأن الدين علاقة خاصة بين العبد ورب محبها لقلب ولا علاقة له بواقع الأرض . فسهلت على الشياطين - فيما بعد - اقتلاع آثاره من واقع الحياة لأنه لم يكن عميق الجذور في واقعها .

- ومن ناحية بونوق أسهمت في زعزعة الأرض بتعطيل شريعة الله وتبصيح المسيحية لرومانية أن تحكم العالم - في صورة قوانين وتنظيمات - ومنعت الإصلاح لدى أروده بله تعالى لناس حين ثرب عليهم لدين فشتات عن ذلك عظام سياسية واقتصادية و اجتماعية فمثل في نظام الإقطاع لدى شاع وداع في العالم الأوروبي - في ظل الكنيسة - أكثر من عشرة قرون كما سهل على الشياطين والمحرفين اقتلاع آثار الدين وتحطيمه باسم لإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ..

- فصلا عما أثارته من المذاعات مع الأباطرة والملوك في أدى بهم فيما بعد - إلى الانسلاخ من سلطان الكنيسة وريبتها - وعمقت مفهوم الفصل بين الدين و سياسة ليصبح العداء الدائم بين الدين والسياسة ، وفصلت لعدم عن الدين (١١)

وهذا ما يؤكد الطابع الممجر للفكر الديني الأوروبي ومدى سطوة الدين الكنسي على كل مرافق الحياة في أوروبا . وكان ذلك أمرا سيئا شديدا لعموم لا بسبب سيطرة الدين على الحياة كما حين لأوروبا بمبدأ في جاعيتها القديمة والمعاصرة ، ولكن بسبب سيطرة لفساد الكامن في ذلك الدين الكنسي على كل مرافق الحياة . كما كان ما حو هذا الدين الكنسي من انحرافات جذرية في صلب العقيدة من ناحية ، وفي فصل عقيدة من لشريعة من ناحية أخرى ، وفي فساد مخلصيه من رجاء الدين وجهالتهم من ناحية ثالثة ، كان معسدا ومعظلا

ملامح فكرية معاصرة (محمد قطب) ص ٤٥

وسيطرتها في بيئته العربية ، وقد وجدت أكنيسة أنصرية في جمع شملها وتركيز إدارتها تحت رعاية بابوية حبر وسيدة بتحقيق رغبتها في السيطرة ونمود على مجربات الأمور في أوروبا . وكان من مظاهر هذه السيطرة أن وقعت بيد من حديد في وجه التصرف بروف في أو السعار شهواني الذي كانت لاهر طورية لرومانية قد انتهت وأتت إليه قبل دخولها في نصرانية

وفي هذا الصدد يصف بكتب الأسريكي « درابر » قائلا « لما بدعت لدولة لرومية في بقوة الحرية والنفوذ سياسي أوجها ، ووصفت حضارة في أقصى درجات هبات في نساد لأعلاق وهي الانحطاط في الدين والتهذيب في أسمل الدركات . بطر برومان معبشتهم وأحسنوا لى لأرض ، واستهتروا استهترا . وكان مبدعهم أن عياه إلى هي فرصة بنمتج يتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ثوب ، ومن نهر إلى بدة ، ولم يكن ردهم وصومهم في بعض الأحيان لا ليست حتى شهوة لطعام . ولم يكن عبد لهم إلا يطوب عمر البدة ، وكانت مولداهم نزهو بأواني لذهب وفضة مرسعة بأجر هو ويحتف بهم خدم في ملابس جميلة حلابة . وعده ت رومية حسن ، وغوا كاسيات عاريات غير متمعدات تدل دلالة . ويزيد في نعيمهم حمامات بدحة ، وعبد بن لنهر وسعة ومع من يمد ربح لنها الأبطال . ولا يرذلون بمصارعون حتى يختر الواحد منه صريحا يتشطح في دمه . ولم أدرك هؤلاء مدققون الذين دحرو . بعالم ، أنه إن كان هناك شيء يستحق لعبادة فهو القوة . لأنه بها يقدر الإنسان أن يبال لشهوة التي يجمعها أصحابها يهرق لجبين وكبد يمين ، وإذا غلب الإنسان في مساحة يفتال بقوة ماعده ، فحينئذ يمكن أن يصادر الأموال والأسلاك ، ويعين إيراد ت لإلتطع . وإن رأس بدولة الرومية هو رمز بهذه لقوة القاهرة فكان نظام رومية يشبه عن أبهة ملك ولكنه كان ظلام حادع كالذى نراه في حضارة أيبوس في عهد انحطاطها » (١١) .

١ (ملأ آخر العالم . ١ ص ١٨٤)

ومن ثم أرادت الكنيسة أن تقف في وجه هذا السعير الجامح وهذا التردى الكاسع وبكثرتها لم تسلك إليه سبيل لفطرة السوية المعتدلة ، ولا كان قد بقي بين يديها من حقيقة لتصور النصراني الصحيح ما تقيم به اميران بين الناس بالقسط ، ولا ما تقيم به اميران بين الاقراط والتفريط في وظائف فطرتهم الطبيعية ، ولكنها بدعت نظام الرحمة لعاقبة ، وبعبارة كانت أشأم على البشرية من بهيمة الرومان الوثنية على نحو ما سيتجنى بعد ذلك من خلال هذا البحث ولم يمشى دسداً علاجاً لهذا الانحلال في طبيعة المجتمع الأوروبي ولكنه أنشأ صراعاً حاداً بين طرفين جامحين كلاًهما يعمد عن جادة لفطرة وحقيقة حاجات الإنسان

ولم يقتصر تعصب للكنيسة على الأمور الدينية وحدها في اساحة الأوروبية، راي شمل - أيتها - مصارع لعكر العلم والمعرفة بل وكل الفنون الدينية لتشهد ببلاد الأوروبية مريداً من تصراع افكرى أحياناً ، وتصراع الدموي في أكثر الأحيان يتعرض الكنيسة سيطرتها وفردتها وذلك يتمثل في لاصطهاذات للكنيسة ضد من سول له نفسه أن يفكر بعيداً عن الكنيسة ، وأن يأتي بعلم لا توافق عليه ، وقد تأخذ هذا النوع من الصراع بعض نوقته نتيجة لتصور انظمية التي سادت أوروبا في تلك لفترة من العصور الوسطى وهي الفترة التي بسطت فيها الكنيسة سيطرتها على مقاييد الأمور في البلاد المريضة

فالعقل الأوروبي في هذه الفترة - كان على شفا الاحتصار بعبارة الإبداع ، وبخاصة أصانة التفكير غيردد بعض من يهدو إليه من تراث القدامى مصباً في ركاب الكنيسة التي استبعدته وفرضت سيطرتها ورقابنها الصارمة عليه ، فلم يستطع الفكات ولا التخلص منها لأنها وصحته بين شقي درجي

ما لاتصياح لما تقرره كنيسة دور نظر أو تفكير (عتقد وأنت أهمي)

لدفعه عجلة الحياة في مصادرنا الطبيعية في أوروبا ، كما كان معسدا للعقول
ومعطلا لها من التفكير لدينى القويم وعظمها في تدينه.

ومن مظهر اضطراب العقيدة الأوروبية ، وتباينها في انكر الدينى-

* ابتداء الزهيدة الثانية في المجتمع الأوروبي ،

نعت الرهبنة المسيحية دورا بدورا في تاريخ الكنيسة ، كما أفصح عن ذلك
د جويرد يوسف لاثلا « إن الرهبنة بأشكالها المتعددة لعبت دوراً قهراً في
تاريخ الكنيسة المسيحية إعتباراً من القرن ثاثل لميلادى فصاعدا » (١) ،
والرهبنة « نظام بدء يستهوى نفوس مسيحيين مد انجيل لثاثل للصح ، وقد
توطدت نظمه ونقائده وطقوسه على أيدي لرهبان الأوائس أسطوليوس
وإدميوس ومكاريوس ، وغيرهم من آثرو حياة لعرلة والتبس. » (٢)

وأهم لبرعث التى دعيت إلى نشور اربانية بين مسيحيين في الساحة
الأوروبية منها ما هو اقتصادى ، ومنه ما يعود إلى أسباب ذهنية ، ومنها ما
يعود لعش في الحياة أو للاسطة أو لتظاهر بالره و لتقوى والتشبه بحياة
بعض القديسين معب وراء شهرة أو مكسب

ويمكننا إجمال هذه الأسباب فيما يلى

- أم الأسباب لاقتصادية ، فقد كانت لظروف الاقتصادية عاملا أساسيا من
عوامل نشور لرهبة بين مسيحيين ، فقد عجز الناس عن دفع الضرائب التى
فرصتها عليهم مدونة برومانية كما دفعهم من لهرج إلى لصحر ، وتركوا
بيوتهم وممتلكاتهم وأولادهم لكي يعيشو حياة رهبانية توفر لهم الأمن (٣) .

١- (دراسات في تاريخ العصور الوسطى) ، ص ٩٤

٢- (تاريخ الأباط) زكى شتند ، ص ١٨٦

٣- لمزيد من الاستعداد انظر (الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها) ص ٧٨ - ٨٩

كذلك مدرة لرمص يعمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت الكثيرين على انعزلة ، وأن يجربوا حياة الرهبة في الصحراء والجبال ^(١١) ، وهذا يؤكد أن الرهبة ما نشأت في الساحة الأوروبية ولم يكن لباعث عليها الدين ، وإنما تدعيت الظروف الاقتصادية عجبتهم بترهبون.

وفي هذا تقول المؤرخة المسيحية (نيتشر) : « وأول باعث على هذه الرهبة هو القانون لدى وضعه قسطنطين سنة ٣٢٢م وفيه يعطى العزب والذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم ، وهذا القانون حذا بالكثيرين من محبي اسمس والمنا إلى الاعتصام من نزوح بل ساعدهم على البش والفساد ، إذ جاء في فقرة أخرى منه أن منقطعاً يربى على نفقة الحكومة وأن الرهبان كانوا يفتون من الخدمة العسكرية في مدة حكم قسطنطين » ^(١٢).

تعرض المسيحيون لشتى ألوان التعذيب وأبوع من الاضطهادات على أيدي أباطرة الرومان كانت من أهم البواعث لنشأة الرهبة في الحياة الأوروبية والكنيسة. ^(١٣)

ومن البواعث لظهور الرهبة وازدهارها الإحساس القوي في قلوب بعض الناس بأن الكنيسة فقدت قداستها وتكريسها وشعروا أن حبثهم الروحية لا يمكنها أن تنمو إلا بعيداً عن الأوساط الكسبية وعدم برصى عن كنيسة لأنهم رأوا أن رجال دين سيهت عليهم لأهوا ، وأصبحوا رجال دين. ^(١٤)

١- (تاريخ الكنيسة) جون لودجر ، ج٢ ، ص ١٣٤

٢- (تاريخ الأمة القبطية) ، ج١ ، ص ٢٧٦

٣- (دراسات في تاريخ المصور الوسطى) جريغوري بوسيد ، ص ٢٣١ - ٢٣٧ (دراسات في تاريخ الرهبانية) ، ج١ ، ص ٤ - ١٥

٤- انظر (قصة حضارة) ج٢ ، ص ٣٩ (تاريخ الكنيسة) ج٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ (فجر المسيحية) ، ص ١٧٤

وعجزت الرهبانية كما يقول سيد قطب - ونظامها المبني على تصورات
كنسية ومجمعية منحرفة عن أصل التصور النصراني ، عن أن يكون حتى نظاما
أخلاقيًا للعالم النصراني ، وحلف في النفوس بملوكة الدين - والدين الإلهي عنه
براء - وترك فيها مجازًا للانتقاص عليه وعلى نظامه الذي لا تطيقه الفطرة ،
وكن عاملاً تكدياً من عوامل ذلك الانحطاط الذي لا نهاية المطاف « ١١ » ومظهر
من مظاهر اضطراب الفكر الديني في أوروبا

ومن هذه المظاهر التي أدت - أيضاً - إلى اضطراب الفكر الديني في
الساحة لأوروبية.

* بعض مظاهر حال الدين الكهنسي وتسلط أخلاقهم ،

صور الكتاب المسيحي « جاد المفلوطين » حالة انحطاط التي تزدى إليها
رجال الدين في العصور الوسطى وهي عندهم قاتلاً ، إن القديس ليطم بالأسي
وتقتل نفس صراة عندما تنصر من طهنة الدينية في هذه الفترة ، فقد هم
الانحطاط وساد ، ودب في الحياة ذهيب الفساد ، ومن خدمة لرأس إلى باطن
القدم أصبحت الكنيسة مريضة وموسومة بسملة الانحطاط الخلفي ، لا فرق بين
قائد ومقود ، الجميع راعوا وتسلطوا بها ، وغالبيتهم من صدمتي الحمر
مستعدين للعديد من الخطايا كخطيئة الرب ، وكانوا يعيشون في بحرارة من
المعيش ، يسعون وراء فتح الرافعة ، مهملين بواجباتهم الدينية ، إهم لم
يأخذوا خدمة ولكن وظائف وكانوا حامين في لربح القبيح يقترون لماصب
والوظائف الدينية بالمال ، حتى توصل كثير من المجرمين وغير المؤهلين إلى
المناصب الدينية الكبرى عن طريق المال « ٢١ »

١ - (المستقل بهذا الدين) ، ص ٣٩

٢ - (كثير من الاستعداد نظر) المسيحية في العصور الوسطى ١ ص ٢٩ أوروبا العصور
الوسطى ١ ص ٩٠ ص ٢٣ التاريخ الكنيسة جون لويس ج ٢ ص ١٣٩

وكانت هذه طامة كبرى يوم اكتشف الأوروبي أن حياة رجال الكنيسة الشخصية ، لا تنعج بالمشاع بالطبقات فحسب ولا تسقط في الترف فحسب وإنما عشا فيها الفواحش والمآكر ، وبيع رجال الدين الكنسى بالشهوات والمنكرات ، والتفوا حول موائد الفساد والانحطاط ، وتساقتروا تحت أرجل الرذائل والمكاييد ، وانغمسوا لى كثافة المعاصد والمزبذات ، حتى حين تأمر الكنيسة أتباعها بالحرمان القاسى وتذوهم باستحالة لغادهم إلى الجهة إذا هم راووا من طبقات النجاسة شيئا ، لم يست هذه المتناكضات تولد فى نسبة الأوربيين اضطراب فى فكره ومعتقده ، وتهايد فى دينه 111

ومن مظاهر اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا

« سيطرة الباطنية على الفكر الأوربى فى العصور الوسطى »

دخلت الكنيسة فى سرج طرد وحاد مع الأهلة والمنون لا على يددين والأحلاق ولكن على السطة والفساد وبدأ السرج والمنايسة بين الباطنية والإمبراطورية ، وأدى ضعف الأهلة وهجر الإمبراطورية لرومانية فى العرب سنة ٤٧٦م إلى زيادة سلطة الباطنية وارتدع شأن الدين فى أوروبا .

وقد وقع أكثر من حدام بين الباطنية والقدة انسياسيين فى الفترة ما بين القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر الميلادى أدى إلى فساد رجال الدين وانحطاط الباطنية إلى سيطرتها للحكم على الكنيسة . ولكن ما لبثت الباطنية أن تماسكت وأعادت سيطرتها وسيادتها . ويبلغ نفوذ الباطنية ندين وأنشكرى والديوى بوجه عام ذروته فى القرن الثالث عشر عندما أصبح الدين فى أوروبا بمثابة ملك يتمتع بسلطان رضى فوق سلطانة أنروحي ، ويهيمن على الكنيسة

١- انظر الباطنية وسيطرتها على الفكر الأوربى فى العصور الوسطى ١ د أحمد حجيبة . مقال
بمؤلفه أصول الدين طنطا ، ١٩٩١م

وإذا ما أراد البابا أمرا فعلى الملوك مدعته والا تعرضوا لعقوبة الحرمان والطرده من الكنيسة ، وما يتبع ذلك من متاعب لا قبل لهم بها داخل بلادهم وخارجها^(١).

ووجدت الكنيسة الغربية في جمع شملها وتركيز إدارتها تحت رعاية لياوية حير وسيلة لتحقيق رغبتها في السيطرة ، وأصبح البابا في نظر الأوروبيين رأس الكنيسة ، ومصدر ولايتها والحارس لأول على قوانينها ونظمها ، وعنايته ، وعدم أتباعه المعصوم من خطأ ، فضلا عن اعتقادهم بأن البابا نائب المسيح لأنه يستمد سلطته من تعيين المسيح له عابرة.

وم تكن الياوية هجاة من هذه المستوى التي كانت هي الطابع المميز لحياة الكنيسة عامة في ذلك العصر حيث وصلت حالة لياوية في القرنين لتدفع رابعا إلى أحد درجات الانحطاط

يقول جيروم حينما الحالة متردية التي وصل إليها ذوي المناصب الصغيرة في كنيسة وصولا إلى الأساقفة وبيدوت أنفسهم كانوا يتحدثون إلى هذا المثلث الخطأ : « نعم تشوهت صورة الياوية وتلطحت بالكثير من تشوهات التي لم تكن تخطر على بال ، وأصبح مركز البابا موضع نزاع بين قادة السياسيين المتنافسين وأتباعهم وبعض الذين شغلوا ذلك المنصب في خلال تلك الفترة لم يكونوا يفرق مستوى الشبهات بل أنهم كانوا من ذوي السمعة السيئة وأصبحوا أفضح أنواع الجرائم وأشنع »^(٢).

ويقول : « إن عيش نفوسهم وعيهم كان يزدى بترف الأمراء ولأغنياء اختريين ، وقد انحطت أخلاق الياوت انحطاطا عظيما ، واستحوذ عليهم الجشع

١ - تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، مبشر لقسم لأرن من ٢٣٩

٢ - (المسيحية في العصور الوسطى) ص ٤٠ ، ٤١

وحب المال ، حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالباع ، وقد تبايع به أفراد
العلنى ، ويؤجرون أرض الجبة بالوثائق والصكوك وتذاكر الحقوق ، ويأذنون
بتقص القانون ويحسون شهادات الحياة ، وأجازت جن المحرمات والمحظورات ،
كأورق انتقد وطوايع الهيد ، ويرتشون ويربون ، وقد بدروا المال تبذيرا ، حتى
استطروا ليابا « إنويست انت من » أن يرهن تاج الباهية ، ويرى أن مجموع دخل
ملكه فرنسا لم يكن يكفى البهوات لتنفذتهم ورضاء شهواتهم » (١)

ومن ثم يظهر لنا ما كان يمكن أن يفعله الأسقف والبهوات من دور فعال
فى تقدم النظرة الدينية فى الساحة الأوروبية فى أعصيتهم لهم الكنيسة وأشباعها
من ملكات ومؤهلات قيادية بماه إلا أنهم أساؤا استعمال سلطتهم الدينية
وتمنعوها لتفودهم وجدهم ولتحقيق مآربهم انشغيت ورضاء شهواتهم ،
وسيطر عليهم حب المال والجبد والسطر ، وفى سبيل الحفاظ على هذا النفوذ
وتوسيعه كانوا على أتم الاستعداد لاستخدام شتى أساليب التشكيل والاضطهاد
لن تسول بدنس بالخروج صيهم أو مخافتهم ، أو زعزعة ثقة فى حكمهم
وسلطتهم ، فلم يهادنوا المحادين ولم يسامحهم ، رأى تكلوا بهم من غير
رفق ولا رحمة ولا هوادة وأدالوهم مرارة المديفة مما أدى إلى زعزعة النظرة
الدينية ، وبليلة الفكر الدينى فى نفسية الأوروبي

ومن ملاحظات اضطراب الفكر الدينى فى أوروبا : أيضا -

* استبداد الكنيسة : مصطلح هانسكز فى العصور الوسطى :

لقد شدد ضغط الكنيسة على أتباعها وبالعنت فى فرض آرائها على
أشباعها مهالعة قباورت حد العلو ، ولم تسلك فى فرض آرائها طريق الحكمة بل

(١) ماذا صر العالم ، ١٩٩١

سلكت مسبيل العنف وركبت متى أنشدت ، فجعلت كل رأى فى العلوم الكونية يحالف رأيه بُعد كلفاً ، ويجب حرق أو تعذيب المهرطق بلا رفق ولا هوادة.

وكانت العاصمة - كما يقول سيد قطب - لشي تم بها ذلك الفصام الكند وانتهى بها الأمر فى أوروبا بين الحياة والدين ، وانقطع بها نهائيا ما بين التصور لاعتقادي والنظام لاجتماعي من سبب ، بل كانت الهندية الكهري التي جنشها الكنيسة الغربية على نفسها ، وعلى الفكر لتصرسي أن احتجوزت لنفسها حق فهم الكتاب مقدس - كما يرسمون - وتفسيره ، وحظرت على أى عقل من خارج الكهوت أن يحاول فهمه أو تفسيره ، لم أتبع هذا بإدخال معصيات في العقيدة لاسبيل لإدراكها أو تصورها أو تصديقها وقد فرصت لكنيسة على ساس قهرى ، ومعتهم من لمادة ، وإلا عرضوا أنفسهم للطرده والحرمان.

ثم لم تكنف لكنيسة بتلك لعميات والمخرنات لى العقيدة والشعائر - مع كف اتس عن لبحث عن أصولها فى لكتاب لمقدس ومحاولة فهمه أو تفسيره بل أتبعها بأفانها فى الكون والحياة - طادعت آراء ومطربات جهرامة وقارحية وطبيعية مما كان سائداً فى عصرها ، ملبنة بالخطأ والخرافة عن الكون والحياة ولإنسان وجعلتها مقدسة لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها ولا تغييرها ولا القول بسواها » (١١).

ويصور لسيه أبو الحسن اندوى هذه لفاصمة تصوريا دقيقا لا يحتاج إى تعميق أو تعقيب مبيد مدى السيطرة التي فرضتها الكنيسة ورجالها على أشباعها وأتباعهم قائلا « ومن أعظم أخطاء رجال الدين فى أوروبا ، ومن أكبر جدياتهم على أنفسهم وعلى الدين كسوا يثرونه ، أنهم درسوا فى كتبهم لدينية لمقدسة معلومات بشرية ، ومسلطات عصرية عن التاريخ والجغرافيا وعلوم الطبيعية بل درسوا كل ما تناقله الألسن ، وشتهر بين الناس ، وذكره

١١ - (المستفيل لى الدين) ، ص ٤١ - ٤٢

بعض شراح الثوراة والإنجيل ومفسريهما وصيغوه صحيفة دينية ، وصيغوه من تعاليم الدين وأصول التي يجب الاعتقاد بها ، وبذلك كل ما يعارضها وكفروا كل من لم يدين بها .»

وكانت « الجغرافيا المسيحية » التي ألّفها رجال الدين الكنسي في عصر «الفجر الذهبي» للكنيسة في أوروبا ، وحطم عملاء الطهينة والعلوم سلاسل انتقيد الديني . فقرأوا هذه الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب وانتقدوها في صراحة وصراحة ، واعتقدوا عن عدم اعتقادها والإيمان بها ، وأعلنوا اكتشافاتهم واحتجاراتهم . فقدت قيادة الكنيسة ، وقام رجالها - المتصرفون في زمام الأمور في أوروبا - وكفروهم واستعدوا دماءهم وأموالهم في سبيل الدين المسيحي . وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقب - كما يقول البابا - الملحدون والزنادقة ، لمجسدت واجتهدت ألا تدع في لعالم نصراني عرق يهبط ضد الكنيسة » (١٦).

وكان هذا من أهم الملامات والمظاهر التي أدت إلى اضطراب تفكير الديني في أوروبا.

« محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق هي محاولة لإطفاء حقيقتها

» وهي وحدة من أقطع وأخطر المظاهر التي استخدمتها سلطات الكنيسة لإحكام استبدادها ولقبضتها لمحاربة تفكير وجدلة أهلها (١٧) ونظمت هذه المحاكم كأداة تحقيق مسببة تحت إدارة رجال الدين - الكنسي ضد من يصرح على النظام الكنسي - وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الخصم

١- (ماذا حصر العالم بالخطايا المسيحية) من ١٩٢٠ - ١٩٤٠ بتصرف يسير

٢- (لغة الصراع بين الدين والفلسفة) من ١٩٠٠ (محاكم التفتيش نشأتها وتطورها) د استحق

الإنسانى بالنار والعذاب . وكان كبار رجالها يقعون فى مئات الساعات ليرقبوا أجساد أعدائهم وهى تحترق بالنار وتتخذ أنفسهم بجائلة محزنة (١) ، ولا يكاد المؤرخون الغربيون يتعرضون لتحديث عنها إلا ويصيبهم الاضطراب ، وتنسجر كلماتهم وعبد ، وهذا كى هذا هو حال المؤرخ لهذه الأحداث فمد يالك بالصحة لذين أزهدت أرواحهم والسجناء الذين أديقوا ألون المر والنكال (٢)

وكانت هذه المحاكم بهوية محكمة تستمد سلطانتها من لىها مباشرة أو المفروض عنه أو من رجال الدين المعروفين بتعصبهم لشديد لكنيستهم ، ولا دخل بمحكومات فى تصرفاتها ، اللهم إلا لىها بتنفيد أحكامها ، ومحاكمتها سرية ومن واجباتها مراقبة المظبوطات والمدارس وتقرير لكتب اتنى يسمح بتداولها ، وحراق الكتب اتنى لا تتفق مع المذهب الكنسى - الكاثوليكى - كما أنها تقوم بتنجيس - بالطرق لشروع وعبرها - على من يشتبه فى عقيدتهم والتبص عليهم ومحاكمتهم فى جلسات سرية ، وتعذيبهم بمختلف الطرق القاسية اتنى تكرههم على الاعتراف بهرطقتهم (٣) .

ويعتويات التى كانت تصدرها محاكم التفتيش كانت تدور عادة بين لاعدد وسجن بصرفهم المحتبسة والمتعددة التى لا يرى فيها أى حرمة لآدمية الإنسان ، حيث رويت مأسى مروعة ، وكانت أغلب الأحكام الموت حرقا وأقلها لسجن مرير . وعملت لكنيسة لا على إبداء المذاريج بلطف عليها بل ومصادرة أملاكهم وأموالهم وهدم منازلهم والمدار المجاورة لهم ، ولجات لى هدم منازل انهرطقة ، وإحراق جثث اموتى من انهرطقيين إعتقد منهم أنه قد يصاب لىكن الذى يصمم رفقات انهرطيق باندس ، ولذلك نبشت قبور عدة ، وأهبت

١- (معالم تاريخ الإنسانية) ريلز انجلد الثالث ، ص ٩٩ .

٢- (العنانية) ص ١٣١ .

٣- (المجامع المسيحية) د محمد رجب الشورى ، ص ٣٨٣ .

حرمة جثث كثيرة وسط قرع الطيور والهيبة المعروفة ، وقد توطد هذا النظام الأثم وشاعت تلك المحاكم لظلمة حتى عنت العالم لمسيحي القريى كنه بشبكة لا سبيل إلى إتقانها ، كما اعتبرت هذه المحاكم مقدمة (١)

الأمر الذى أدى إلى ثورة عارمة ضد التعاليم الكنسية ، وصمد رجال لكنيسة ، وثار المجددون والمتنورون وأصبحوا حرياً برجال الدين ومثلى الكنيسة والمحافظة على القديم ومقرر كل م يتصل بهم ، ويعرى إليهم من عقيدة وثقافة وعلم وأخلاق وآداب ، وعبادوا الدين المسيحي أولاً ، والدين المطلق واستحوالت الحرب بين زعماء العلم والعقيدة وزعماء الدين البوليسى حرياً بين ، نعلم واديين مطلقاً ، والفر اثاثرون أن العلم والدين صرتن لا تتصاحبان ، وأن لعقل والنظم الدينى ضدان لا يجتمعان ، فمن استقبل أحدهما ، استهدى الآخر ، ومن آسى بالأول كفر بالثانى .

وراء ذكرى الدين ذكروا تلك الدم ، انركبة لثى أريقت فى سبيل لعلم وللاحقيق ، وتلك لنفوس لبرينة لثى ذهبت صعبة لقسوة القساوسة ورساوسهم ، وقتل لأعينهم وجوه كالحقة عابسة وجباء منطقية ، وعين ترمى بالخرر ، وصبور صيقة حرجة ، وعقول سحيقة بييدة ، فاشمازت قلوبهم وألوا على أنفسهم كراهة هؤلاء ، وكل م يثقلونه وتوصوا به ، وجموده كلمة باقية فى أعقابهم ، ومن يكن عند هؤلاء نشاترين من الصبر والمصابرة على الدراسة والتفكير ، ومن الودعة ولهدوء ، ومن العقل والاحتشاد ما يميزون به بين الدين ورجالها لمحتكرين لرعايته ، ويفرقون بين ما يرجع إلى الدين من عهدة ومسئولية ، وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود ومستبداد وسوء تفكير ، فلا يهتوا لدين بيد

١ يرجع لمزيد من الاستنادة (مجلة العلم بالمجتمع) جرج كراوفر ترجمة حسن خطاب سلسلة الألف كتاب ، مكتبة النهضة المصرية

لثروة ، ولكن المعقظة بشأن رجال الدين ، والاستعجاب ، ثم يسمح بالنظر في
أمر الدين والتراث في شأنه كغالب لثوار في أكثر الأعصار والأعمار . (١)

هذه أهم الملاحظات والمظاهر النكدة التي عالت منها أوروبا - ومازالت -
تعاني معها البشرية - من جرء هذه الاضطراب الفكرى آثاره التعيسة ،
وتتجسج كآسبه المرير . وهذا هو الدين الذى اضطرت فيه العقلية الأوروبية
اضطرابها متباين وتثارت عنده أوروبا فحرمته وشوهت معالجه ثم زيفت
حصانته لربيه ، وتصوراته الإلهية ، وقبحه رأسه السادية ، ذلك التزييف
الشنيع .

والتأمل فيما سلكه من مظهر ، وحرب ضد الدين ، إنما هي ملاحظات
ومظاهر كانت وليدة بيئة حارجة عن بيئة الإسلاميه ، والدين الذى هوجم وشنع
عليه هو الدين الرسمى الذى كان من نتائج العقلية البشريه ، لجهل كان هذا
لاضطراب فى الفكر لديمى - كما نجهى لك أحي القارى الكريم من خلال عرضنا
سالف - فى الباحة الأوروبية برعث ودوافع !

هذا لتمازج يحتاج من الى فتحه ودراسة للإجابة عنه فى نقطة التالية
بأقرب وبالله التوفيق

١- (ماذا ضم العالم بالاحتياط بلسانك) ص ١٩٤ - ١٩٥

ثالثاً: أهم السواغات التي أدت إلى اضطراب الفكر الديني في البيئة الغربية:

بعد أن يبين أهم الملامح والمظاهر التي كانت سبباً في اضطراب الفكر الديني في الساحة الأوروبية ، فإنه يمكننا إجمال أهم الأسباب التي نجم عنها الاضطراب والتباين في الفكر العربي في كلمة ما يظهره من نظم وتقسيمات للحياة . وخاصة فيما يتعلق بالفكر الديني وأجملها فيما يلي .

* أولاً : تعدد المورثات الدينية ، المظلمة ، وكثافة الأفكار الدينية الوضعية فيما يتعلق بالدين الذي توارثوه من الأمم القديمة

* ثانياً : انقطاع السند في مصادر الفكر الديني لوضعي ، وخاصة في الأناجيل المقدسة - كما برعصوني - ولغيرهم . وضموض تعاليمهم . واحتلالها ، ونقص الفكر الديني في أوروبا ، وتباين والمشرق الأوربيين إلى شيع وأحزاب وطوائف وشرق مختلفة متفادرة ، وبكل فرقة من هذه الفرق المتحددة لحق في فهم الأناجيل ، وفق مآربها وعقليتها ، وكذلك شعائرها وأحاديثها وكفائسها وشعوبها الخ . وكل فرقة تنكر على الأخرى ما قبالت به وأخذت . ولم يلق أمر الانقسام في تفكر الديني الأوروبي إلى انشعب والنحرب في الفكر أو الرأي أو حتى لاختلاف في المروج في فهمها . بل لم يلق الحد عند الاتهام بالمجروح ولبعد من مبادئ المسيحية - لوضعية - بل وصل إلى حد السب والنس والقذف والظفر والحرمات ، بل لم يلق أمر التباين بين الطوائف المسيحية البوليسية عند هذا الحد . وهو أمر جد خطير - بل إن الصراع الفكري ، والاحتلاف الديني ، وبشقاق والعداوة وصل إلى هذه . حيث شتمت مار لصرع امبر لدامي في أنفه الأسود وأبسطها ، كأن يروج أحد الطوائف من طائفة أخرى ، وسجن وتاريخ مئات الآلاف إلى الملايين من النصحايا سقطوا في بحر من الدم . ومن أسرد كل الفرق

في بيان مدى اختلاف كل واحدة من الأخرى ، ونشائج هذه الاحتلال
فهذه أمر يطول بهاته ، وما أسرت عنه هذه الاختلافات عن صراعات
دموية وهيبية. (١١)

* ثالثاً : نشأ الغرب متشرباً لتعاليم الكنيسة ومبادئها وأساليبها من كبت
وقهر وفرض ضرائب وصكوك غفران ، وبشرب طهرات الآخرين ،
وسلب نتيجة هرقهم ، ومن دماهم ، كما نشأ متشرباً بأساليب نفل
والفتك واستعمال كافة أساليب الخراب والدمار في كل وقت ومكان
طالما مكنتهم الظروف ولا تلووا واستخدموا أساليب الخيل والمكر
واندهاء ، فقد سجل التاريخ ما خلفته بصراعات الدموية ، واستعمار
الدول الأوروبية للأقطار العربية وما ذاقته هذه الأقطار من قهر وعطش
وطغيان ، وسلب ممتلكات ، وهتك أعراس ، وسلبك دماء ، وما هذه
السجلات التاريخية من بهيمة منها هي مكتوبنا زائراً بهذه
المؤلفات. (١٢)

* رابعاً : تحريف وصناعة معلومات إلى نصوص كتبهم المقدسة كان له أكبر الأثر
في نشأت هذا الصراع والاضطراب لفكري في اساحة الأوروبية ،
ورغم اعتقاد الأوروبي بصحة هذه نصوص وقدسيتها وأنها معصومة
من الخطأ ، إلا أن لتقدم العلم قد كشف النقاب عن وجود نقاط
خلاف بين كتبهم المقدسة ونصهم ، كما كشف عن وجود أخطاء علمية

- ١- انظر لمزيد من الاستقواء (الصراع الاجتماعي وموقف الإسلام منه) د محمد رمزي موار
رسالة الدكتوراه من ٥٢ ٥٨ ، مخطوط بمكتبة أصول الدين بالقاهرة ، ١٩٨٩م (محاضرات
في التصوفية) محمد أبو رهرة (لغة الاصطلاح الديني) د توفيق الطويل ، (لغة الصراع
بين الدين والفلسفة) د توفيق رزق الطويل ، وغيره
٢- لحروب الصليبية وما نولد عنها من آثار مدمرة على العالم العربي نتيجة مشبه وما خلف
إليه

في هذه الكتب ، وقد حقق هذا الوضع الخطير من معارضة الكنيسة
وعداؤها للعلم وبعثاء - كما سبق بيته - في دفعهم دفعاً إلى تقديم
كل من حالف الجغرافية المسيحية في محاكم التفتيش ، وبطل معرفة
لقدري الكرم للوسائل التي استخدمتها الكنيسة للذبح ، الفكر المحالف
لها بغير دليل على ما نقول ، ومن أهمها :

١- الحرمان من الكنيسة ، وقد اعتمدته كنيسة في بداية أمرها
لمعارضة الفكر . لحالف على ما يسمى بوسائل الإرهاب الروحي
والتي تقوم أساس على الحرمان ولعن وطرده منها ^(١) .

٢- محاكم التفتيش - وقد سلف بها.

* طامعاً يضاف إلى ذلك كله ما ذكرته من أن رجال الدين الأوروبيين حرصوا
الحماية الطاغية على ما ليس داخل في اختصاصهم ونصبوا من
أنفسهم حكماً على كل نشاط أو فكر عسى ، وقد بشأ ذلك نتيجة
لضييق صدر الكنيسة مما يخالف تعاليمها ، وإصرارها الأعشى على
التشبث بأرائها ، تلك الآراء التي تكونت - كما أسفنا - من
الأساطير والحكمات والأدب الوثنية ، فكان الاعتداء انطيمى للطفيلين
الديني طمعاً فكرياً عاف . ولذلك عاصبت الكنيسة الناس لا على
ما تعتقده قلوبهم فحسب ، بل على شجاج قرائعهم وشات أفكارهم ،
وتوهمهم أن في قدرتهم أن يملك ما لا يستطيع أية قوة طاغية أن
تحتكره وهو حقيقة علمية فيمتعتق بانسجربة المحسوسة أو لنظر
لعقلي السليم ، ولذلك أقحمت الكنيسة نفسها في مشاهدات كانت

١- أجيل القدري الكرم فريد من الاستفادة في هذا الموضع . كنهه لمضادة (ولد ديوانت . مجلد
٤ ص ٤٥ ٤٨ عالم العصور الوسطى من النظم والمضادة ، كولتون ترجمة د . جويوف
يوسف ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م .

غنية كل الغنى عن عبورها ، وأثرت على نفسه حربا صروا لا
هوادة ولا تمهيز فيها (١١).

وقد كشف ويلز الفيل ، وراء هذا التعصب الأعشى من جانب رجال
الدين مشورا إلى أن سبب تعصبهم وبغضهم للمخالفين راجع إلى أن
كثيرا منهم على الأرجح يسرون الرتبة في سلامة بنهان مبادئهم انضمام
وصحته المطلقة ، ولذلك لم يسمحوا بأية مناقشة فيه ، ولا يهتمون
أية أسئلة ، ولا يهتمون في محادثة ، لا لأنهم على ثقة من
عقيدتهم . بل لأنهم كانوا شمر رائدين فيها ، وكانوا يريدون بمن حولهم
موافقتهم على رأيهم لأسباب تتعلق بالسببية (١٢).

* مصادرا : ومن الأسباب التي أدت إلى اضطراب الفكر الديني في أوروبا عدم
كمال دائرة الفروض العقلية التي اخترعها المناقشة العدين ولشأة الدين
وتطوره . فصلا عن بطلان مصادره في هذا الصدد ، وما ينشأ على
باطل لهم بطل.

* ساهما : عدم تطبيق حيدة العلمية في البحث ومصادم المقاييس التي وصحوها
بتمسك الذاتية الدينية وشأنها ومصداقها ، وأتباعهم لمصادر المعرفة
الإلحادية القائمة على التنازع العقلي البشري ، ولا ريب في أن تدوج
المذاهب وتعدد المذاهب التي ستلقى منها العقل الأوروبي ثقله ،
واحتلامها فيما بينها أدى إلى اضطرابه وتجبته في كافة أمور العلمية
والعقلية ، وكان لهذا لتجبط ولاضطراب آثاره الهدمة على كيان
وذايته . وهذا ما يدفعنا إلى بيان منطقة التلبية.

(١١) (٢٠١١) معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثالث من ١٢ ٩ ٣ نقل من (سيطرة البابوية ،
ص ٥٢ ، ٥٨)

وأما بيان الآثار التي نزلت عن تحجيط الفكر الديني في العالم الأوروبي:

لا نعلم أن عصرا من العصور قد انفق فيه أصحاب الرأي - كما يقول الأستاذ عباس العقاد - على وجهة واحدة في مسائل العقيدة الدينية ، ولكن العصور مع ذلك تتهاين وتختلف في الفكر ، ويحس كل منها طابعه وسدته في شئون العقيدة الدينية ، وفي غيرها من لشئون العامة التي تتسع فيها مطامح الآراء ، ومصارح الأهواء ، فإذا حسبنا لهذه المفردات أو المشابهات حسابها على جملة ما جاز أن يقال أن الحاصرة الغربية تحولت منذ القرن السابع عشر من الشك في الدين إلى الشك في الحق إلى الشك في العلم الحديث ، وإنها الآن تدخس في أبواب جديدة من الشكوك

وربما كان الأصح أن يقال ، إن الحاصرة الغربية بدأت بالشك في السطة الدينية لا في الدين نفسه ، وإن الدين ، الذي شككت فيه أو أنكرته كان هو الدين كما تشبهت به الجاهلون على أنشغالهم أو على العرف المقرر في صوره ، الجاهل والطفيلان » (١) .

لذلك وجدنا لفكر الأوروبي مضطرب من تحديد حرية الدين ومشائه والأطوار ، حتى مر بها كما كان لمعروفات الدينية مقدسة التي تأثر بها الفكر بعرض أثره الفعال في تحجيط هذا الفكر واضطرابه ، ويؤيد عن هذا الاضطراب مجموعة من الأفكار والمذاهب الواسعة لتبديت وهي إلا انعكاس لطروف محلية بحثه في أوروبا ، وهذا أمر منطقي ، إذ رجعت إلى ظروف التي ما حدثت على توالده هذه الأفكار وأهمها عبث الكنيسة بدين له تعاني أكثر على المسيح عبيد السلام وتحريمه وتشويهه ، وتقديسه للناس في صورة منكرة دون أن يكون لديهم مرجع

١ - (عقائد المفكرين في القرن العشرين) ، ص ٢٥

يرجعوا إليه لتصحيح هذا المبحث وإرجاعه إلى أصوله النصيبية امسلة - كما هو الحال مع القرآن المحفوظ بالنسبة له ومشبهته من كل حيث أو تحريف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - ثم استبداه رجال الدين الكنسي بأفكارهم وشرح بصرهم كتبهم المقدسة - كما يرمون - وأصفاء الهالة والقداسة على هذه الأفكار ثم اصطهاد من تسرب له نفسه بالخروج عليها أو اخيطة عنها بشي ألوان التعديب ، وادسسي أنواع التشكيس ، ومن ثم يقول : إن الظروف التي أحاطت بدين في أوروبا تفسر ولا تبرر ، يجب تفسير شروء الناس في هذه الهيئة عن الدين ولكنها لا تبرره ، فربما لأشئ على الإطلاق يبرز بعد الإنسان عن حاله ، ويهدد بعدونه على البحر الذي اقترصه على عباده - سواء بالاعتقاد بوجدانيته أو بتوجيه الشفاعة لتعبدية إلهه وحده ، أو بتعبد شريعته ، لهذا التصرف المنحرف من الإنسان الذي يهد دينه ويعتمد عن الله لئلا يورده على نفسه ، والله يلقح على حاله دون غيره .

وبما كان يهدد لمبحث من الانحرافات والاضطرابات التي ولعت في الساحة لذلك ، الدينية في أوروبا بين أوروبا قد عشقت دينها منفرلا عن حياة الناس ، وعقيدة متعصنة عن شريعته بصرف النظر عما حدث في هذه العقيدة من تحريف على أيدي الكنيسة ودعاتها - وهم تعكس الشريعة ثبت في حياة الناس في أوروبا إلا لأحزاب لشخصية لمعصب دون غيرها من الأحزاب لسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الأمر الذي جعل أوروبا حين نطلق كلمة « الدين » فإنها تعني بها بعدد ندين هي واقع حياة ودينا الناس وحصره في المعبد والكنيسة وكان من أهم الآثار التي نجمت عن هذا ، يمحصر في « لا دينية أوروبا » في كل مجال من مجالات العممية وقص - بقاى الدين داخل الكنيسة ، وهو ما يهدى بها في

عصرنا الحاضر بظهور سرعة « العثمانية » في الساحة الأوروبية ، وإحياء
الإسلامي (١).

ومن ثم يمكننا بحال الأثر الذي ترتب على تحييط واضطراب الفكر الديني
في أوروبا بعد ذلك وضحت للملاحظات والمظاهر التي أدت إلى هذا الاضطراب،
والبراعث له ، فيما يلي :

أولاً : خريف الدين وتشويهه

ثانياً : طغيان الطابع المادي في معوس الأوروبيين وبعدهم من الدين.

ثالثاً : بطلان الحاسة الدينية في فلوب الغربيين.

رابعاً : زوال العاطفة الدينية من الكيان الأوروبي.

خامساً : هجر رجال الدين الكنسي من تعديل المادية الجاهلة

سادساً : انتشار كافة الأمراض البدنية والعقلية والشمسية في أوروبا.

سابعاً : إفشام ظاهرة اليأس والانتحار في الوسط الأوروبي

ثامناً : رذائل الإنسانية من خريف الفكر الأوروبي واضطرابه

تاسعاً : دعوة المنصحين من الأوروبيين للدين الحق.

ولي مع كل أثر من هذه الآثار وقدرة لتوضيحه في صورة مجللة فأقول وبالله

استوفى :

أما فيما يتعلق بالأثر الأول الذي ترتب على تحييط الفكر الديني في
الساحة الأوروبية وهو تحريف الدين الإلهي وتشويه معناه ، يحتاج أولاً أن نتذكر

١- ولد بعض علمائنا الأجلاء هذه النزعة وقتدروا شبهاتها وقاموها وردو عليها انظر (الإسلام

والعثمانية) وجهاً لوجه د. يوسف القرضاوي - سقوط العثمانية انور جندى وعمرها

عائيد - دلالة قاطعة على أنه إن صحبت فكرة العثمانية في اليبس الأوروبية كبديل عن الدين .

وإن ساحتنا الإسلامية لا ترضى بغير الإسلام وهذا

أنه في الوقت الذي لم يكن للدين الإلهي وجود في الهيئة الغربية - سواء في صورة عقيدة صحيحة أو صورة شريعة حاكمة - فإنه كان هناك نفوذ ضخم جداً يدرس باسم الدين في مجال العقيدة وفي مجالات الحياة العملية كلها من قبل رجال الدين - ويمثل في حس لأوروبي على أنه هو الدين ، أي أن الصورة لواقعته للدين في أوروبا كانت تمثل أولاً في عقيدة مأخوذة من الأناجيل - المتحرقة - وشروحها ، تقول :

من ابنه ثالث ثلاثة ، وإن منه هو المسيح ابن مريم ، وتمثل ثباتاً في صلوات وقياسات ومواعظ وحتفلات تدم في الكنائس يوم الأحد بصفة خاصة ، وتمثل أمهراً - وليس آخر - في نعمة رجال يدين على الملوك والأباطرة وعلى عامة الناس ، فأما نفوذهم على لبرك ميتهم أنهم لا يجلسون على عروشهم إلا بإذن البابا ومباركته ولا يتوبون سفاهتهم على شعوبهم ، لا يتولية البابا لهم ، وإذا غضب البابا عليهم يهددهم شعوبهم وهم تدعن لأمرهم - وأما نفوذهم على عامة الناس فيتضمن أنهم لا يصبحون مسيحيين إلا بتعميد الكاهن لهم ، ولا صلاة لهم إلا بحضور الكاهن في الكنيسة - ولا يموتون موتاً صحيحاً إلا بإقامة قدس بركة لهم على يد الكاهن - ولا يصعدون إلا ما يلقونهم به رجال الدين من شئون العقيدة - ولا يفكرون إلا فيما يسمح لهم رجال الدين بالتفكير فيه فضلاً عن نفوذ رجال الدين على أموال وأجساد وأرواح الناس^(١) ومدى نفوذ وطغيان الكنيسة على قلوب الناس وأرواحهم

وقد تمثل هذا الطغيان مظهر سى (روحى ، عقلى ، وفكرى ، ومسى ، وسياسى - وعسمى) وكانت تعاضد الأول في تحريف الدين لإلهى وتشويهه فقد امتدت يد رجال الدين لكسب سى الدين الإلهى الذى جاء به السيد المسيح

١ - (مذاهب فكرية معاصرة - محمد لطب ، ص ٤٤ - وليريد من الاستعداد انظر التشبيد الأول من هذا الكتاب ص ٩ ، دار الشروق ، ط ٢ ، ١٩٨٨ م

مضوحت صورته ، وطبعت معالنه ، وغبرت شرئعه ، وبذلت حقائقه ، وحولته من دين إلهي بمشدد في أصوله وأحكامه على أنه إلى دين وصفي أرضي ثبت وغنى من أفكار بشرية وثنية (١)

وعقائد الديانة النصرانية لوضعية تعد من أعقد ندبات الفكرية فهي تتصادم مع أبسط قواعد العقل والمنطق وحساب ، وقد عجز رجال الكهنوت عن تفسير غوامضها ، وانتعير من كنهها وعقدده وعجزوا عن توصيحها ورفقاع الناس بها فصلا عن تأثرها بالأديان الوصفية الوثنية فهي نتاج مركب من الأساطير والحرافات ولطائف البرثية كما سبق أن وضع

* الأثر الثالث : طغمان الطبايح ' على من نفوس الأوروبيين وأحرفهم عن الدين الإلهي :

ولا كان الفكر لأوروبي من كافة مراحله (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) وخاصة ما يتعلق بفكر الدين معتمدا على مخلفات الأمم السابقة عليه كاليونانية والرومانية - وقد أسفط بطمير الجانث المادي في حياتهما - فإنه على طلب وساد الجانث المادي بعد حجر الدين الكنسي من جذب الناس إليه - على الطمير الكنسي ورحاله وبو أدى ذلك إلى الطرد والحرقان والقتل والتعذيب ممثلا في (محاكم التفتيش ، وانصرفت العقيدة الأوروبية إلى المادية بكل مصيها وما تتضمنه من عقيدة ووجهة نظر ومفيدة وعقيدة وأخلاكية واجتماعية وعلمية وأدبية وسياسية وحكم ، وقام صباؤهم بالنظر في نكون نظرا مرسا على أنه لا حائل ولا صبر ولا إله ، وأبو الإيمان بما رواء الطبيعة

١- (المركبة الفكرية عند الإسلام) د. بركات دويدار ، ص ٧١ ، دار التراث المصري ، ١٩٩٨ م. وانظر لتحرير الدين وتشريعه عهد الحضارة (مجلد ٢ ج ٢ ص ٢٧٨) المصاحبه بشأنها ونظورها ، شارب جليل ترجمة د. عهد ملهم محمود ، مكتبة المصرية ببيروت (إظهار الحق) ج ١ ، ص ٣٣٧ ، دار التراث ١٩٧٨ م.

يقول أبو الحسن السرى موضحاً اختصاص مادية على لعنلية الأوروبية
 وجعلها للإله (ولكن رجال النهضة الأوروبية ظلوا قروناً يجمعون بين نظر
 المادى الجاحد والحياة المادية ، والطقوس الدينية المسيحية ، بالتقليد أو بتأثير
 المحيط الذى لا يزال فى العالم التنصرى أو بمصالح خلقية واجتماعية كانت
 تقتضى البقاء ولو بالاسم على نظام ديسى يؤلف بين أفراد الأمة - الأوروبية -
 ويحفظها من التوحى ، حتى فتصعقوا أحبراً وصعب الجمع بينهما بسرعة سهر
 لحصار المادية وتختلف الدين والتقاليد وعجزوا عن مسايرتها ، وما يجمع
 بينهما من مشاعب وصياع بولت وتكلف هم لى نفس عنه ، ومن ثم نهض
 لكتب ولعلمون وشهروهم فى كل ناحية من نواحى أوروبا يتفحرون فى صمود
 لمادية ، وينشون بأقلامهم مسموماً فى عقل الجمهور ولقد ، حتى طفت وسادت
 رعت لبدع فى شتى أنحاء أوروبا ، حتى أصبح دين أوروبا ليسم الذى يملك
 القرب وحشاهر ويحكم على لروح هو لمادية لا نصرانية ، وبمهم ذلك كل من
 عرب واتصل من كتب وكتب بالأوروبيين وهم يتحدع بالمظاهر الدينية لى اسدع
 بها الجاهلون « (١١).

عبر أحد الصحفيين الأمريكى عن هذه الحالة بمادية لطافية النفسية
 الأوروبية فى كتابه فى « داخل أوروبا » بقوله ، إن الانجليز لما يحدون بيت
 يجتزر ستة أيام لى لأسرع ويتوجهون فى اليوم سابع لى الكنيسة « (١٢).

• الأثر الثالث: بطلان الحاسة الدينية فى طروب الغربيين

لقد كان جروح العقيدة لأوروبية إسي امادية طاعجية وحر فهم من
 الروحانية كان له أكبر الأثر فى فقدانهم للحاسة الدينية ، وهن فقد الحاسة لدينية

١- ، ص ٢٠٠ حصر العالم بالمعطيات المسمين ص ١٩ ١٩٩ { الإسلام على مشرق الطرق ،
 محمد أسد ص ٢٠٠ .

٢- نفا عن المرجع السابق ص ٢٣ ٢٤

لظارئ مؤثر أو حرمها لنقص في فطرته بطلت نتائجها الخاصة بها ، وانعمت في حقها ، بحيث لا يستطيع أن يتصورها أو يصدقها ، شأن الأعمى لا يبصر الألوان والأجرام المرئية ، وقد يعاند ويكابر في إنكارها ، وشأن الأحم الذي ليست لديه الصاعدة إلا مدينة لأفوت عبده وليس به داع أو مجيب.

كذلك الشأن من حرم الحسنة بدينية جعد العيب . وكابر فيما هو وراء الطبيعة ، وعاد في المعالم الدينية ، وقب على الرقائق والقوارع التي تهز النفوس وترقق القلوب ، فالدنس فحجرت قسهم وماتت نفوسهم في مسألة الدين ، وآلوا على أنفسهم أنهم لا يعكرون في أمر الدين والأخرة ولا يلقون السمع للروحانية الآتية ، وأقفلت أعينهم ومساندها جميع أبوابها ، وسدت جميع بوابات فكرهم ، هم أولئك الذين فقدوا حسنة بدينية ، وآثروا الدنس بالأخرة ولا لمجد أمة من الأمم أترقت في هذا المجال إلا الحصار الأوروبية ولنهضة انغريية - كما رعموها - وكان هذا ناجم من فقدانهم للدين الإلهي وصرت الفطرة زائبا عنهم أسطير وحرفات وثنية مورثة (١)

« الآثار الرابع ، روال الصاعدة الدينية من الكنان ، الأوروبي »

لما ارتفعت قبة لمال في عيون الرجل الأوروبي وبع من الأهمية وإمكانة صلها لم يهلكه في دور من أدوار التاريخ المدور ، وأصبح المال هو الروح السادي في جسم المجتمع الأوروبي ، واحادى بنس على أعمالهم وشبهتهم المدي ، كما أصبح ينقلب مدى تدور حوله رضى الحيدة العصرية كما يقول الأستاذ « جود » معلم الفلسفة وعلم نفس في جامعة لندن « في النظرية انهيمه السادة على هذا المصر هي انظرية الاقتصادية ، وأصبح البطن أو الجيب مبرانا لكل مسألة فيقدر اتصالها بالجيب وتأثيرها فيه يقين الدس عبيد ويعنون بها » (٢) ، زالت

١- { ماذا خسّر العالم . ١ ، ص ٢٥ - ٢٥٤

٢- نقلا من { ماذا خسّر العالم . ١ ، ص ٢٦٤ بتصرف.

العاطفة لدية من قلب الرجل الاوروبى ، و أصبح لا يبتك لا فى نفسه وقلبه أى عاطفة دينية ، بل عتش فى كيانه حب خادة حتى عشقها وأصبحت هى ديمته ومعتقد .

وخبر ما يعصد هذه نظرة ما صوره العالم انصرانى «ليكى» الحالة المتردية التى أصبح عليها لرجل الأوروبى - وخاصة رجل الدين الكنسى وتأرجحه بين الرهبانية لعنية وحياة امدية بخاصة - إنه يقول : « إن لمن الذى ظهر فيها أكثر الرهاد كانت أسبق لمن فى الخلاعة والعجور ، وقد جمع فى هذا العصر العجور والوهم اندس مما عدوس لشرف الإنسان وكرامته » (١) ، وشقيت أوروبا بالفساد والعجور الذى انتاب ساحتها فصلا عن طهيان رجال لدين الكنسى على حياة لأوروبية بأسرها أضعف هذا كله من رقة الدين الذى تدعوا إليه الكنيسة وجنح إلى المادية.

« الآلم انشامس ، عجز رجال الدين الكنسى عن تعدين المادية لجامعة ،

لا يتوهم أحد أن حياة الرهبة التى ابتدعها رجال الكهنة فى دينهم - كما يقول - « حسن اسدوى »^{١٢} - لد عدت من شره مادية الرومية ، وكبحت من جماعها وغلوها ، وادى بوجد لا يحدل ويحفص من المادية الجماعية ويجعل منها حياة معتدة هو اسظام اسروهى لدى الذى يوافق الفطرة الإنسانية أما انصرانية لرومية لوصفية قد حاولت تغيير نفسية الأوروبى ، فباتت بالفشل والخيبة لأنها جاءت بنظام لا تستشيعه افطر لسلطة ، وحملت النفوس ما لا طاقة لها به فزعيت به كرد فعل ضد امدية بطاغية واحتشاجه كارهة ثم تحلست منه وثارت عليه ولم تقدر انصرانية الرومية بإسرافها لى الرهبة وانهد .

١- ارجع السابق ، ص ١٩٠

٢- ارجع السابق ، ص ١٨٨ - ١٩٠ بتصرف

ومكبرتها للمعطره والواقع أن تصبغ ما فسد من أخلاق الناس وعاداتهم ، وتمنع
تردى وسقوط مدنيته وحضارتها المرصومة ، مما أفقد الدين الكنسى هيئته
ولباسه في نظر ارجس الأندلس وغلب عليه تطبيع المادى اجماع

* الأثر السادس : سيطرة كافة العلوم : البدنية والعقلية والطبيعية ، في البيئة
الأوروبية :

إن فقدان حاسة البديهة يعرض لإتسان بشى العلم والأمراض البدنية
والعقلية والفسية ومن ثم كانت بيئة الأوروبية والساحة العربية مرتعا
محسب لهذه الأمراض مجتمعة وليس أدب غنى ذلك من أقوال عنصاتهم
ومفكرهم بمختلف تخصصاتهم والإيمان علاج يلقن ولاكتساب ولاضجر وبأس
وسائر الأمور ولاهتلاجات التي تعترى الكيان الإنسانى ، لها هو : ديل
كاريجى « بصرح : إن أطباء انفس يدركون أن الإيمان أقوى ، ولاشمسالك
بالدين وبصلاة كفيفة بأن تقهر محارف وبلقن وتثرت العصى وأن تشفى أكثر
من نصف الأمراض التي تشكوها.

ويقول : .. بريل : .. امرء متدين حق لا يعانى مرضا نفسيا قط ، وإن
عنصاء النفس وأطبائها يمسوا لا وعظما من نوع جديد لهم لا يحضون على
الاستمساك بدين توجب معذب الجحيم في لذار لأخر - محسب - ولما توقد
بجحيم المنسوب في هذه الحبة لذبا ، جحيم قرعات لمعدة والانهيار العصبي
ولجنون ... الخ.

ويقول الدكتور كارل بويج أعظم أطباء انفس بأمريكا في كتابه
(الرجل العصري يبحث عن روح) وهذا هو همرى بك الذى عاد إلى الإيمان عن
طريق التجربة ولعلم ، هذا الرجل ككثيرين غيره حين كفر وأخذ ، ثم يكفر
بدين لثق ، ولما كفر بالتحريمات بشى أصعب إليه ، وما يشد عليه ، وحين
آمن وعاد إلى الدين لم يعد إلى الدين الذى أنكره من قبل بل عاد إلى دين

لعظرة ، وهو أتيح لمرجع - وبعبارة من سائر العلماء لأوربيين - أن يعرف
لإسلام على بصيرة لا يكتفى أن الدين الذي يهدى إليه وأعني عبودته خطيرته إنما
هو دين لإسلام (دين بظرة وعقل والحياة والقوة) ومن أقواله :

- (إن كل من يعتقد دين أو يتحدد على دار العبادة يتمتع بشخصية أخرى
والفصل بين لا دين له أو لا يزال أية عبادة) .

(الدين هو الإيمان بوجود قوة ما كمصدر للحياة ، هذه القوة هي قوة الله ،
وهو الانتداب بالامتثال للإله الذي منه الله في كتبه المتعاقبة ، واعتبار
التعاليم لصدوره ثم كبر تغترب منه بتقاني الدينية وهي أسس في مرادها
من العلوم كلها مجتمعة) ١٠٠ .

ويقول « بين كاريبيجي » : أن حياة معاشة مصونة وصحراء فاحلة مهيمنة
بصير راحة الإيمان .

« بنى يسمنى ما يسميه إلى يدين من العمق تماماً كما تهسى العم التي
تسديها إليها كهيء وانحداء الجهد والقاء النقي فهذه تعينت على أن نحيا
حياة بكر الدين يمدى إلى أكثر من هذا ، إنه يمدى بامتعة لروحية ، أو هو
يؤدى - على حد قول « ويبم جيمس » - بدمع قوى خواص الحياة المحافظة
الرحمة السعيدة براضية ، إلى يمدى بالإيمان والأمل والشجاعة والفضى عما
المحدولة ولاكتساب والتفنى ، ويرودى بأهداف وشاهدات في الحياة ، ويصنع أمامى
أفان الحياة سعيدة ويعيش على خلق واحة خصبة وسط صحراء حياتنا .

ومن أقوال الفيلسوف « فرانسيس بيكون » : أن قلباً من الفلسفة يجتنب
بالعقل إلى لإعداد ، ولكن لتعمق في لفظة حقيق أن يعود بالمرء إلى الدين .

١ نقول من كتاب (العودة إلى الإيمان) ص ٢٣ - ٢٦ بحرف يسير

ومن أقوال « ولهم جيمس » :

« ان يسا وبين الله رابطة لا تنقسم . فإذا نحن أقمنا أنفسنا لإشراقة
لحققت كل أمنياتنا وآمانات » .

« لإيمان من القوى التي لا بد من توافرها ، معاونة لمرء على العيش ،
وفقدنا نذير بالعجز من معانا الحياة »

« إن أعظم علاج للحق ولا شك هو الإيمان » ^(١)

* الآثار الصانع ، ديوجانس الصخر والنياس والاسعاد في الوسط الأوروبي ،

لما ضعف أنواع دهرى وفقدت العقلية لأوروبية حاستها الدينية تعجبة
عجز دهرى لكنسى لولسى المشبه من استمالة نفوس ، وجذب القلوب ، ولما
فقد العربى أثره فى الخير والإصلاح ، وما ضيع لفرهين أصول معتقدتهم
ومبادئ دينهم ، وزعت قلوبهم وانحرفت واعتلت أذولهم ، لم تردهم العلوم
والحترعات - وتقدم التكنولوجى - إلا ضرر وقرة وسرعة فى الإهلاك
والاستعانة على الانحمار .

وقد صور هذه الحاة المتعددة لأستاذ أبوالأعلى لودودوى فى كتابه
(تنقيحات ، قائلًا ، « وحاصل أن لهدرة الحبشة للى ألقيت فى تربة أوروبا فى
بعضتها لم تأت عليها قرون حتى سبتت منها دوحة خبيثة ، ثمادها حيرة ولكنها
سامية ، أرهاها جميلة ولكنها شاذكة رمروصها مخضرة ولكنها تمتث غاراً
سامياً لا يرى ولكنه يسمم دم البشر ،

إن أهل الغرب الذين عرسو هذه الشجرة لخبشة قد مقتوها ، وأصبحو
بندعرو منى لأنها خلقت فى كل ناحية من نوحى حياتهم مشاكل وعقلا لا

١ يقول من الإيمان وحياة ، د يوسف لقرصادى ص ٣٤٣ - ٣٤٥

يسمون لحنا لا وظهرت مشاكل جديدة ولا يفعلون فرح من غروعها إلا
وتطلع غروع كثيرة ذات شوك ، فهم في معالجة أدوائهم وإصلاح شئونهم كمعالج
الداء بالداء ، ونقش الشوكة بالشوكة ، لهم حاربوا برأس مالهم فجمت
لشبهوة ، وحاولوا استئصال الديمقراطية فبعثت الدكتاتورية ، أرادوا أن
يشترعوا قوانين لاستئصال الفساد فخلقوا فاسدات حركة العصيان والجمانية فلا
ينتهي شر إلا إلى شر أكبر منه ، ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم مصائب وشروا
حتى صارت الحياة الأوروبية جسدا مفروحا ، يشكو كل جزء منه أوجاعا وآلام
وأعيب أداء الأطباء ، وتوسع الخرق على الرقع ، الأمم البشرية تفصل أول
قلوبها مصطرة ، وأرواحها متعطشة إلى ماء الحياة ولكنها لا تعلم أين معين
الحياة ، إن الأكثرية من رجالها لا تزال تتوهم أن مبيع المصائب في غروع هذه
الشجرة فهم يفعلونها ويسأصلونها من لشجرة ويضيعون أولادهم في الطغيان
أنهم لا يعلمون أن مبيع الفساد في أصل الشجرة ، ومن السفاهة أن يترقب
الإنسان أن يبيت فرح صريح من أصل فاسد ومبهم جماعة من العقلاء أدركوا أن
أصل حزنهم فاسد ولكنهم لا يشأوا قروا في ظل هذه الشجرة - وبأنبياءها
نبت خمهم وبشر عظمهم - كانت أدوائهم من أن يعتقدوا أصلا آخر غير هذا
لأصل يستطيع أن يخرج غروع وأوراق صالحة سليمة ، وكلا الفريقين في
نقطة سوداء ، بهم يتطعمون ثبات بعالج سقمهم ويريدون من كسبهم ولكنهم لا
علمونه ولا مكانه » (١١)

١- (انتقادات) فصل أمم المتحدة عن ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، كلامه يحميه و يعرفه كما يعرفه ، بل هم إن فريق منهم ليكنسون حق وهم يحمون حق من ذلك فلا تكون من لمتريه و سورة البقرة الآية (١٤٦ ، ١٤٧) .

* الأثر الثامن : رواية الإنسانية هي تحريف الفكر الأوروبي واصطريبه ،

قد خسرت الإنسانية جمعاء ، بسخطا المسلمين واستيلاء الفكر الأوروبي عليها بالتبعية والسيطرة والسود رزيب أرقعت الإنسانية في الهاربة وتلك رؤية لا تقبل العراء ، وكسر لا يجبر ، ورغم تعبط الفكر الأوروبي في شتى مساحي الحياة ، ورغم انكشاف هويته وجلاء اصطريبه ، إلا أن الإنسانية - لا من عصمه الله تعالى - قد سجدت بسرى لحصرة العربية ، وسرت في هذا لسراب الخادع والمخدع ، وهوت في الخصيص بسبب هذا لتقيد لأعصى لدى نقادت إليه ، وكان من نتائج هذا كنه أن عدت الإنسانية حاستها لدهية كما زالت عاطفتها الدينية وطغت امدية جامعة على نفوسهم وقلوبهم ، وتدهورت انهم الأحكامية في هل هذه التبعية الشيطانية وأصبحت ماحتها مرتفع خصص لتفشي العلل والأمر من البدنية والعقيدة والفلسفة ، وتحوّل الإنسان التابع بتفكير موضوعي - إلى مادية جامعة ، وتراج إلى جارف في صياحه وحيوان هائج في نيله يبحث عن متاع حسي لمليظ ، وتلك نهاية طبيعية لكل من حاد عن الفطرة ، وانحرف وبعد عن الدين إلهي

وب كان لإنسان متدين بطبيعته وفطرته - نهر - أيضا - عابد بمسجده ، ولا يمكنك أن تحولته من لدين إلى اللادين ، ومن العباداة إلى اللاعبادة إلا إذا كان هذا متدين ، وتلك العباداة قسمة على أسس واهية ، ودعائهم باطلة من نتائج الفكر الوضعي الموسوم بالنقص - ومن ثم تعددت سبل الدين حادوا عن فطرة الله تعالى وتنوعت وتشعبت طرقهم فضلو وأصلوا

* لا تتر التامع دهوة المتصفين من الأوروبيين بدين الإلهي اشق^(١) :

أفت شمس اخضرة لمريية ، وعباب صوت الفطرة عن بيتعهم ، حتى
وجدتهم صرعى لعل ولأمراض بسبب فرع الميدان الأوربي كله من الدين - رغم
سيطرة ومفرد أوروبا على العالم بأسره بقوتها الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية
والعسكرية والسياسية - ولو كان لدي سبيل النجاة بالنسبة لهم ، فانساحوا من
ديهم ، عسى أن يجيدوا الهدوء عند لأوتعتهم سعيهم في الهلاك والويل ،
والفساد والخسائر بما دفع مصيبتهم برفع صيحاتهم في أجواء أوروبا بأسرها ،
معتنئين بالسير التطوري مكنون في نفوسهم - وإن لم يصرحوا بديانهم وبه
علائية - ويسوء مصير انسانية في ظل اخضرة المادية الحديثة من الإيمان خرافها
من الروح الإنساني.

صهم العيسوف الإلهي المعاصر (برتر ندرسل) قد في تصريح له :

« لقد انتهى عصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض - ولنا - تلك السيدة
لي لأيد يس قاتونا من قروب الطبيعة - بدلا من السائر لإلهية - واعتقد أن
لرجل - من في يلتقي أباد وصبة كتلت التي لقيها خلال أربعة قرون »^(٢)
وقدل جويد فوسترد لاس - وزير خارجية أمريكا سابق في كتاب (حرب أم
سلام)

« إن هناك شيء ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا ، والإمام أصبحت في هذا
لمرجع وفي هذه الحالة بخصيه ، ولا يحترق أن يأخذ موقفها دماغها » وأن

١ - نظر : لندرد : الإسلامية في نظر المتصفين من مفكري العرب ، مقال للباحث محمود الكلبة
١٩٩٥م

٢ - (المستقبل لهذا الدين) من ٤٧ ، ٤٨ يتصرف بغير

بتملكك تدعو إن ذلك أمر جديد في تاريخنا ، أن الأمر لا يتعلق بالماديات
فنديت انتاج علمي من الأشياء المادية ، إن ما يقصد هو إيمان صحيح قوي ،
فبدونه يكون المادي قتيلا ، وهذا سقش لا يعرضه السياسيون مهما بلغت
قدرتهم أو ابدعوا سيئون مهما كانت عظمتهم ، أو اعلما ، مهما كثرت
احتياجاتهم ، أو القديل مهما بدعت قوتها ، فمضى شعور الناس بالحاجة إلى
الاعتداد على لأشباء لادية من النتائج ليئة تصبح أمرا حتميا

وفي بلاد الأوروبية لا تهتدي نظاما الإخلاص الروحي بلانم المددع عنها ،
وهناك حيرة في عقول الناس ، وتأكل لأرواحهم ، وذلك يجعل أمتك معرضة
للتعسف المادي ولو تستطيع أي ذرة لمكافحة التجسس أن تقوم بمهاجمة في
هذه الظروف - ويبدو أن كثيرا من بلاد بما في ذلك الدول المسيحية بصرية
تعطي الأولوية لتلبية حاجة المادية للمجتمع ، وتجهل من الروحية أمر ثانويا
يعتق بالأفراد أنفسهم إن لصرورية باشة من أتب تلف موقعا عاصفا من
إيمان ، ومن لعلاقة متى بين هذا الإيمان وشااطا وتقدمنا احدى ومبالغنا
فيه ند أقدما من الدحية لروحية وشبهة سوء حالت لإجتماعية
-وغيرها- من عرمت قد فقدت ، إيمانهم في مجتمع حر ، وكأمة فقدوا كذلك إيمانك
الديني وممارسة شعائر لدينية ، يد يفرق بين الدين وممارسة الدين ، ولم يعد
بؤس بأن الإيمان يتششى مع الظروف الحديثة ، ومضى لمحضات البطة بين الإيمان
والعمل فلر يستطيع بعد ذلك أن سمي قوة روحية يستطيع بشرف في جميع
أنحاء العالم » (٦).

وكتب انرليس ولسون قبل وفاته بأسابيع قليلة مقالا استعرض فيه جهديته
المبادئ لشرية وأعمال الشيوعية رحمه بقوله : إن اختصار المسألة بأسرها هو

١- نقلا من (الصعبيل لهد، الدين) ص ٦٧ - ٧٣ بمصرف

مايلي : إن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار في البقاء من الناحية المادية إلا إذا استردت روحانياتها « (١) .

هذه بعض النماذج التي تعالت بصيحاتها تنذر بخطر المادية الجارف في ساحة الميدان الأوروبي معلنة أن تعود إلى المخلص الذي يخلصها مما انتابها من تخبط فكري في كافة متاحبها العلمية والعملية ، وعلى من يتسجون متوال الحضارة الغربية ، وولعوا فرسة لزخرفها ، ألا يتخذوها بهذه البريق الخادع ، والمظهر الكاذب ، ويولوا وجههم شطر دين الفطرة التي فطر الله تعالى الناس جميعا عليها ، يعلنوها صريحة صريحة مله « قل إنني هدائي ربى إلى صراط مستقيم ديناً قديماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسبى ونسبى ونسبى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين . قل أعظم الله أبهى وبها هو رب كل شئ ... » (٢) .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وعلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

مزمى شعبان السويدى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

١- المرجع السابق ص ٧٣ .

٢- سورة الأتعام الآيات من (١٦١ - ١٦٣) .

ثبت بآهم المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أخطاء المنهج الغربي الوافد . أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٤م.
- ٣- أصول التاريخ الأوربي الحديث ، د. فشر ، ترجمة زينب عصمت راشد وآخر ، دار المعارف ، ١٩٦٥م.
- ٤- اظهار الحق ، الشيخ رحمت الله الهندي محقق د. أحمد السقا ، دار التراث العربي ، ١٩٧٨م.
- ٥- آلهة في الأسواق ، د. رؤوف شليس ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م.
- ٦- أوروبا العصور الوسطى ، د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، جزآن مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥م.
- ٧- الباطنية وسيطرتها على الفكر الأوربي في العصور الوسطى ، د. أحمد علي عجيب ، مقال بحولية أصول الدين طنطا ، ١٩٩١م.
- ٨- الحركة الفكرية ضد الإسلام أهدافها ومقاومتها ، د. بركات عبدالفتاح دويدار ، دار التراث العربي ، ١٩٨٠م.
- ٩- الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية ، د. محمود جب الله ، ١٩٨٠.
- ١٠- الدين ، د. عبدالله دراز ، دار القلم ، ١٩٨٠م.
- ١١- الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها ، د. أحمد علي عجيب ، مقال بحولية أصول الدين طنطا ، ١٩٩٠م.
- ١٢- العقل والدين ، وليم جيمس ترجمة د. محمود جب الله ، ١٩٤٨م.
- ١٣- العودة إلى الإيمان ، هنري لثك ، دار المعارف ، ١٩٤٨م.
- ١٤- المجمع المسيحية وأثرها في النصرانية ، د. محمد رجب الشتيوي ، مطبعة التجمع ، ١٩٨٨م.

- ١٥- المسيحية في العصور الوسطى ، د. جاد المنفلوطي ، ج٢ ، دار التعاليف والنشر ، ١٩٧٧م.
- ١٦- المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جتيبيير ترجمة د. عبدالحليم محمود ، المكتبة العصرية .
- ١٧- المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٩٨٩م.
- ١٨- الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، د. اسحق عبيد ، دار المعارف ، ١٩٧٢م.
- ١٩- الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٧م.
- ٢٠- بين الديانات والحضارات ، طه المدور ، ١٩٥٦م.
- ٢١- تأثير المسيحية بالأديان الوضعية ، د. أحمد علي عجيبة ، رسالة العالمية مخطوط بكلية أصول الدين طنطا.
- ٢٢- تاريخ الأقباط ، د. زكي شنودة ، لجنة التاريخ والنشر ، ١٩٦٢.
- ٢٣- تاريخ الكنيسة ، جون لوزجر ، دار الثقافة .
- ٢٤- تاريخ الكنيسة ، يوسا ييوس القيصري ، مكتبة المحبة ، ١٩٧٩م.
- ٢٥- تاريخ أوروبا العصور الوسطى هـ.ا.ل. ، فشر ترجمة محمد مصطفى زيادة ، آخرون ، دار المعارف ، ١٩٧٦م.
- ٢٦- تكوين أوروبا ، كرمشتوفر دوس ترجمة محمد مصطفى زيادة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٩٧م.
- ٢٧- دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ، دار المعرفة ، ١٩٧٩م.
- ٢٨- دراسات في الأديان الوثنية القديمة ، د. أحمد علي عجيبة ، دار المنار ، ١٩٩١م.
- ٢٩- دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، د. جوزيف نسيب يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣م.
- ٣٠- رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية ، د. محمود محمد الحبري ، دار المعارف ، ١٩٨١م.

- ٣١- صلة العلم بالمجتمع ، ح.ح. كراودز ترجمة حسن خطاب ، النهضة العربية سلسلة الألف كتاب.
- ٣٢- في العقائد والأديان ، د. محمد جابر عبدالعال ، ١٩٧١م.
- ٣٣- في الدين المقارن ، د. محمد كمال جعفر ، ١٩٧٠م.
- ٣٤- قصة الحضارة ، و.ل. ديورانت ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ٣٥- قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، د. توفيق رزق الطويل ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٧م.
- ٣٦- قصة الاضطهاد الديني ، د. توفيق رزق الطويل ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٨م.
- ٣٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ، دار القلم ، ١٩٧٧م.
- ٣٨- محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٦م.
- ٣٩- محاكم التفتيش نشأتها وتطورها ، د. اسحق عبيد ، دار المعارف ، ١٩٧٨م.
- ٤٠- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، ١٩٨٨م.
- ٤١- معالم تاريخ الانسانية ، ولز ترجمة عبدالعزیز توفيق ، لجنة التأليف والنشر ، ١٩٧٢م.
- ٤٢- من معطيات الثقافة الإسلامية ودورها في نهضة أوروبا وحضارتها ، د. مرعي شبان السويدي ، مقال بحولية ، ١٩٩٤م.
- ٤٣- منهاج الأخلاق والدين ، هنري برجسون ، ترجمة سامي الدروني وآخرون ، ١٩٧١م.
- ٤٤- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، د. رؤوف شلبي ، مكتبة الأزهر ، ١٩٧٤م.
- ٤٥- ومراجع أخرى ذكرت في هافش البحث.